Samedi 9 Novembre 1929

السبت ٩ نوفمبر ١٩٢٩

السياسة الأسبوعية

ASSIASSA HEBDOMADAIRE

LA CHIMERE

فى السياســـــــة العالمية

كيف تفهم امريكا نزع السلاح؟

العم سام (لجمعية الامم) — إن نزع السلاح يجب أن يجرى تدريجاً وعلى كل أمة ان تنقص من سلاحها طراداً كلما انزلت أنا الى الماء طراداً آخر!

نهم جميل، ولكن هل معناه أن يتقى العالم الحرب أم انه بمثابة الاستعداد للحرب!!

(عن الـ ٤٢٠ — فلورنسا)

فى هـــــذا العدد

فى هـــــذا العدد

العـــراق

لمكاتب السياسة الاسبوعية الخاص

بغداد فى ٢٦ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٢٩

الموقف السياسى

لم يحدث جديد فى الافق السياسى، والوزارة السعدونية قد دخلت فى جو سادى، ويقال ان من بعض دوائرها ووزاراتها أنها تحاول القيام بأعمال كبيرة فى اصلاح مالية الدولة والتأسيسات الحكومية، ولم تصدر منهاجها بل تستشفه بخطاب العرش الذى ستتلوه فى افتتاح اجتماع البرلمان بعد بضعة أيام (٢ نوفمبر القادم).

أما فيما يتعلق بالصلات مع بريطانية فيجانب الشائعة أن الحكومة العراقية هى التى تصوغ المقترحات التى تكون أساس المفاوضات كلام يدور بأن السر همفريز المعتمد السامى الجديد سيحمل معه نص المقترحات البريطانية فى هذا الباب وهو قادم الى هذه البلاد بعد نصف شهر تقريبا.

المدارس الجديدة هذا العام

انشأت وزارة المعارف فى أول السنة الدراسية هذا العام خمس مدارس من روضة الاطفال الواحدة فى بغداد علاوة على المدرسة السابقة والاخرى فى ألوية العراق المحرومة من هذا الطراز من المدارس. وأسست ٨ مدارس ابتدائية جديدة للبنين فى بعض الاقضية المهمة. وزادت فى المدارس الموجودة الصفوف التالية: صف ثانوى للبنين فى الناصرية وصف ثانوى للبنات فى البصرة وصف ثالث فى دار المعلمات فى بغداد وصف ثالث فى مدرسة الهندسة ببغداد وصف رابع فى مدرسة الصناعة ببغداد وصف تجارى ليلى لخريجى المدارس الابتدائية، وتعليم اللغة الفرنسية فى المدرسة الثانوية فى بغداد، وفرعا لدار المعلمين فى ضواحى بغداد.

قلة محاصيل التمر هذه السنة

كان الامل قويا بأن محاصيل التمر هذه السنة تكون وافرة جدا الا أن الامراض التى طرأت عليها أفسدت كثيراً منها وأسقطت جانبا كبيراً قبل النضوج وهكذا صارت النتيجة أن نقصت محاصيل السنة نقصا عظيما.

الاعيان الجدد

ذكرت فى حينه أنه عند ختام البرلمان جرت القرعة لاسقاط نصف اعضاء مجلس الاعيان المعينين فكانت النتيجة بسقوط عشرة منهم وقد صدرت الارادة الملكية اليوم بتعيين ثمانية أعضاء مكانهم بينهم خمسة من الاعضاء السابقين وثلاثة جدد، هم محمد على بحر العلوم من علماء الشيعة فى النجف، والسيد ... من زعماء الاحزاب ... الالوية العراقية، وعبد اللطيف باشا المنديل وزير سابق.

وفاة مؤلف

توفى أمس الدكتور سليمان غزاله ... الكلدانى ... وصاحب المؤلفات الكثيرة ...

العرب لى ... البلاد ... فى البلاد ... الحكومة العثمانية، ... العراقية بأدبية فرنسية ... الآثار الادبية الكثيرة ... ودأب على ... الكتب الاجتماعية والاخلاقية التى وان لم تنل ... ولكنها تنم عن جلد الرجل ... والمتوفى ثلاث بنات الواحدة كاتبة بالفرنسية ... كتاب «الخطرات الاولى» ... تسوى وتعيش فى أوروبا والثانية تدرس ... فى فينا والثالثة تزوجها انكليزى ... وابن واحد خريج مدارس الزراعة فى فرنسا كيل بك مدير زراعة البصرة الان.

الغاء مديرية المطبوعات

تنوى وزارة الداخلية الغاء مديرية المطبوعات وادماج عملها فى وظيفة مدير ادارة الداخلية التى استحدثها أخيراً ومتاقى سكرتارية وزارة الداخلية أيضا ... مدير العشائر للنظر فى الدعاوى المحصورة بمقتضى نظام دعاوى العشائر، ومدير البلديات العام لمراقبة شؤون البلديات فى كافة انحاء القطر العراقى.

مدير كمارك ومكوس عراقى

كثرت الشكوى من مدير الكمارك والمكوس الانكليزى الذى يشتغل فى وظيفته كالدكتاتور ولا يعرف أية سلطة لوزارة أو نحوها عليه.

وقد صح عزم الحكومة أخيراً بعد الوضع الاخير بتعيين مدير عراقى الكمارك والمكوس ويرشح لها مدير النفوس الحالى. ولا شك فى أن هذه الخطوة واسعة من حيث تسلم الموظفين العراقيين السلطة فى بعض المرافق المهمة.

السياسة فى الخارج

قد جاءنا من السياسيين ... فى انحاء العالم العربى رأينا أن نجيب طالب المكاتب التى رأت ... فى الجهات المذكورة بعد.

الشطرنج

مسألة يراد حلها من ثلاث لعبات

وضع الاسود

وضع الابيض

قطع الابيض أربع: شاه، وزير، فيل، فرس

قطع الاسود ثلاث: شاه، فيل، بيدق

مسابقة امبت فى برلين

جامبيت الوزير

	الأبيض الخين	الاسود بوجولوف
١	ب — ٤ و	ب — ٤ و
٢	ب — ٤ فو	ب — ٣ فو
٣	و — ٣ فم	ح — ٣ فم
٤	ح — ٣ فو	ب — ٣ م
٥	ف — ٥ حم	حو — ٢ و
٦	ب — ٣ م	و — ٣ رو
٧	ب × ب	ح × ب
٨	و — ٢ و	ف — ٥ حر
٩	ر — ١ فو	ت
١٠	ف — ٣ و	ب — ٣ رم
١١	ف — ٤ رم	ب — ٤ م
١٢	ت	ر — ١ م
١٣	ب — ٤ م	ح — ٥ فم
١٤	ف — ٤ فو	ح — ٣ م
١٥	ب — ٣ رو	ح × ن
١٦	ح × ح	ف — ٢ م
١٧	ح — ٥ فم	ف — ١ فم
١٨	ب — ٤ حو	و — ١ ه
١٩	و — ٢ رو	و — ٣ لم
٢٠	ب — ٥ و	ح — ٣ حر
٢١	ح — ٣ م	و — ٣ حم
٢٢	ف — ٣ حو	ب — ٤ رو
٢٣	ب — ٥ حو	ب — ٥ رو
٢٤	ف — ١ و	ب × ب و
٢٥	حو × ب و	ح × ح
٢٦	ح × ح	ف — ٣ م
٢٧	ر — ٤ فو	رم — ١ فو
٢٨	ر — ١ م	ف × ح
٢٩	ب × ف	و — ٦ ر
٣٠	ر × ر	ر × ر
٣١	ف × ب ؟	و — ٥ م
٣٢	و — ٢ و	و × ب
٣٣	ب — ٦ و	و — ٥ و
٣٤	و × و	ب × و

الابيض يكسب

(عن مجلة السياسة)

إدارة الجريدة بشارع [illegible] نمرة ٣٠

[illegible] (١١٤١) [illegible]

رئيس التحرير المسؤول
محمد حسين هيكل

السياسة

الاعلانات [illegible] يتفق عليها مع الادارة

[illegible] داخل القطر [illegible] قرشا
[illegible] خارج القطر [illegible]

AL SIASSA. 30 Rue [illegible] – Le Caire
Téléph. [illegible]

[illegible]

[illegible] يوم ١٧ نوفمبر [illegible]

وكان [illegible] أن تقام الالعاب [illegible] الأول فى أوائل الماضى [illegible] الاسكندرية التى [illegible] الشعوب الافريقية .

وأعلنت [illegible] مصلحة البوستة [illegible] ووافقت مصلحة السكة الحديد [illegible] تخفيضات فى أجور الانتقال [illegible] أفريقيا [illegible] الملعب [illegible] نظام رياضى . [illegible] لاقامة احتفال [illegible] فى يوم افتتاح الالعاب الافريقية الاولى .

ولكن شاء القدر أن [illegible] ذلك فى [illegible] واحدة فألغيت الالعاب وتأجل افتتاح الملعب وألغيت جميع الاجراءات التى اتخذت لهذا المهرجان العظيم .

وكانت الصدمة شديدة [illegible] . وعبثاً حاول القائمون بالامر أن [illegible] ثم هدأت الاعصاب وعادت الحياة الى مجراها الطبيعى وبدأت الجماهير تتشوق لافتتاح هذا الملعب العظيم . وتساءلوا [illegible] عن اليوم الذى يفتتح فيه . وظل القائمون بأمره يفكرون فى الحفلة التى يراد اقامتها لذلك .

وأخيراً أمر جلالة الملك حفظه الله أن يفتتح الملعب بنفسه فى يوم ١٧ نوفمبر الجارى .

بلدية الاسكندرية تتولى
حفلة الافتتاح

والملعب ملك لبلدية الاسكندرية وهى المتولية شؤونه . فلما وصلت اليها الارادة السنية رتبت حفلة الافتتاح بحيث تتعادل مع عظمة الملعب الرياضى .

وكان يودنا — وهذا الملعب هو الاول من نوعه فى الشرق — أن يكون لحفلة افتتاحه أو تذكارى كالو أقيمت فيه الالعاب الافريقية .. ولا أدرى لماذا لم تعمل مصلحة البوستة مثلا طوابع تذكارية بل لماذا لم تعمل مصلحة السكة الحديد لتخفيض الاجور فى يوم الافتتاح تخفيضاً يغرى سكان القطر المصرى بالسفر لحضور المهرجان ولمشاهدة الملعب الذى سيكون بلا شك قبلة أنظار كل من يزور الاسكندرية من المصريين وغير المصريين لعظمته وجلالة قدره ؟ .

ليس الملعب للرياضة فحسب ، بل هو فضلا عن ذلك تحفة فنية ليس لها شبيه بين ملاعب العالم ... قد توجد الضخامة متوافرة فى غيره . وقد توجد ملاعب تسع الستين ألفاً أو المائة ألف أو أكثر فى كثير من البلدان . لكننا لم نر [illegible] المهارة وكياسة الاختيار ولطافة الشكل [illegible] رأيناها فى هذا الملعب . لقد كان لى حظ مشاهدة كثير من ملاعب أوربا ولكنى حق لم أشاهد مدرجات عملت فيها يد الصانع الفنى مثلما عملت فى مدرج الاسكندرية

[illegible] ... [illegible] الاتحادات من [illegible] الاهلية الرياضية [illegible] الذين [illegible] أرديتهم وشاراتهم [illegible] الرياضية [illegible] الرياضة [illegible] كثيرا

برنامج حفلة الافتتاح

[illegible] الساعة [illegible] حفلة الافتتاح يبدأ من الساعة الثانية بعد الظهر [illegible] قبل الغروب

ويتلخص البرنامج فيما يلى :

١ — الاستعراض العام بالترتيب الآتى :

(أ)	أندية الاتحاد المصرى للتجديف			
(ب)	»	»	»	للأندية الرياضية
(ج)	»	»	»	لكرة القدم
(د)	»	»	»	للتنس
(هـ)	»	»	»	[illegible]
(و)	»	اتحاد الالعاب الرياضية للجيش		
(ز)	»	الاتحاد المصرى للالعاب [illegible]		

وستسير الاتحادات بحسب أقدمية تكوينها ، واللاعب الذى يلعب أكثر من لعبة واحدة له حق اختيار اتحاد اللعبة التى يريد ان ينضوى تحت علمها

وستسير الاتحادات بأعلامها ثم يتبع كل منها أنديته التى تشرف عليها ويسير اللاعبون اربعة اربعة . وستقوم بلدية الاسكندرية باعداد [illegible] حامل العلم وأربعة الاعضاء العاملين لكل ناد من الاندية المشتركة

ح — طلبة المدارس الاجنبية باسكندرية
ط — طلبة المدارس الاميرية باسكندرية
ى — طلبة المدارس الخصوصية باسكندرية
(العروة الوثقى وخلافها)

وسيكون ترتيب استعراض هذه المدارس بحسب الاحرف الابجدية

وقد عملت البلدية احصائية بعد ورود الكشوف اليها من الاتحادات والمدارس المختلفة فبلغ عدد الذين سيحضرون هذا الاستعراض العام نحو أربعة آلاف لاعب يسيرون بأعلامهم وملابسهم الرياضية المتشابهة

٢ — خطاب سعادة رئيس القومسيون البلدى بين يدى جلالة الملك عن الملعب

٣ — قرار جلالة الملك بافتتاح ملعب الاسكندرية

وستكون الفرق المشتركة فى الاستعراض واقفة وسط الميدان أمام كل منها حامل علمها لتؤدى التحية الرسمية لجلالة الملك أثناء ذلك .

٤ — خروج المشتركين فى الاستعراض العام

٥ — وتبدأ بعد ذلك الالعاب والمسابقات التى رتبها الاتحاد المصرى للاندية الرياضية وهى [illegible] ٢٠٠ متر و٥٠٠ متر و١٥٠٠ متر [illegible] و٢٠٠ [illegible]

[illegible]

[illegible] أعضاء [illegible] الاتحاد [illegible] الرياضى [illegible]

ولما [illegible] هذه المباراة [illegible] فستقام [illegible] يوم الاحد ١٠ [illegible] اليوم الذى [illegible] تجربة [illegible]

[illegible] الاندية الرياضية المدة [illegible] البرنامج [illegible] أتم نظام

٦ — استعراض فى الالعاب الجمبازية لطلبة المدارس الاميرية تقوم بتنظيمه مراقبة التربية البدنية بوزارة المعارف

٧ — كرة القدم : وتقام مباراة فى كرة القدم [illegible] بالملعب الذى [illegible] البلدية المباراة عليه . وقد أظهرت بلدية الاسكندرية رغبتها ان يكون [illegible] الفرق المتبارية هذا العام و فى حفلة الافتتاح من الاسكندرية . لذلك رأى اتحاد الكرة ان يكون اللعب على هذا الكأس فى هذه العام فقط وصفة استثنائية بين الفرق التى تمثل مناطق القطر . ولكى يصل الى معرفة الفريق الذى يجب [illegible] إقامة مباراة فى يوم ١٠ نوفمبر الجارى بين فريق القاهرة ومنتخب القنال والفائز منهما يتبارى ضد منتخب الاسكندرية فى حفلة الافتتاح .

ولما كان وقت المباراة سيستغرق جزءاً كبيراً من البرنامج رأوا أن يكون اللعب على شوطين لمدة ٤٥ دقيقة كل شوط ٥ر٢٢ دقيقة .. ولئن كان هذا النظام يخالف قانون اللعبة إلا أنهم أمام الظروف القاهرة لم يجدوا بدا من ذلك .

ويفكر اتحاد كرة القدم الآن فيما ستكون عليه العاب هذا الكأس مستقبلا إذ ليس من المرغوب فيه أن تقام مباريات بين المناطق علاوة على ما تقام لنيل كأس الملك . انما هناك إجماع على أن المباراة النهائية يجب أن تقام سنويا على أرض ملعب الاسكندرية .

٨ — يتفضل جلالة الملك بتسليم الكأس للفريق الفائز .

٩ — وتقوم البوليس سوارى بالاسكندرية بألعاب شيقة (جيمخانا) كالآتى

١ — ركوب على نغمات الموسيقى ٤٨ سوارى
٢ — باكلاوا لثمانية سوارى
٣ — الوثب العالى وسط شعل النار .

وبعد ذلك تنتهى حفلة الافتتاح .

فهذا البرنامج وإن كان شيقا جدا إلا أنه سوف يمل منه المتفرج لطوله وأخشى كما قدمت أن يدخل الظلام قبل الانتهاء منه .

وأرادت البلدية أن لا يحرم الجمهور من مشاهدة هذه الحفلة فأعدت تذاكر الدخول بأجرة متناسبة تشترى لغاية يوم ١٦ نوفمبر الجارى [illegible] البلدية أو تطلب من الاتحادات الرياضية .

[illegible] البلدية تذاكر الدعوة [illegible] من الوجهاء والعظماء ووزراء الدولة

السابقين و[illegible] والسفراء وقناصل [illegible] والهيئات [illegible] الاتحادات الرياضية [illegible] لم [illegible] فى عمل الترتيبات لاخراج [illegible] على [illegible] نظام وأحسن حال .

حفلة السابقات المائية السنوية
لمراقبة التربية البدنية

تقيم مراقبة التربية البدنية بوزارة المعارف حفلتها السنوية للسابقات المائية فى [illegible] العامرة من صباح اليوم (الجمعة ٨ نوفمبر)

الفرق الأجنبية التى ستزور مصر
هذا العام

وفق أخيراً الاتحاد المصرى لكرة القدم أن يتفق مع فريق (بودبست الجرى) كى يبرز ضد المنتخبات المصرية فى فسحة عيد الميلاد المقبل . وقد علمنا بأن العقد الذى [illegible] ينص على أن الفريق يقوم بست مباريات [illegible] القطر المصرى نظير ١٣٠٠ جنيه مصرى [illegible] أن لا يهزم فى المباراتين الأولى والثانية [illegible] قدر له هزيمة فى إحدى هاتين المباراتين [illegible] المبلغ الى ١٢٠٠ جنيه مصرى .

وفريق (بودبست) هو الآن الأول [illegible] ترتيب دورى المجر . ومجموعته تعد [illegible] أقوى مجموعات فرق أوروبا الوسطى .

وعلاوة على ما تقدم فلقد وفق نادى اليونان بمصر أن يستحضر فريقا يونانيا [illegible] أثينا للقيام بأربع مباريات كالآتى :

يوم ١٥ نوفمبر ضد الترسانة بأرض الترسانة
» ١٦ نوفمبر ضد اليونان باسكندرية
» ٢٢ نوفمبر ضد النادى الأهلى بأرض الأهلى
يوم ٢٤ نوفمبر ضد الاتحاد الاسكندرى بملعب الأسكندرية

(٤)

بيرسي بيش شلي

شاعر انكلترا فى صدر القرن التاسع عشر

للدكتور هيكل بك

وصل الحب بين قلب شلى ومارى جدوين [illegible] الى سويسرا ، وصحبتهما جين كليرمون أن كان الأمر بعيل شعر شلى . على أن مقامهم بين جبالها وعلى شواطئ بحيراتها لم يطل أكثر من [illegible] أسابيع عادوا بعدها الى بيت صغير على شواطئ [illegible] أقام ثلاثتهم فيه . ولقد أدى هذا القرار [illegible] ومباشرة شلى لمارى من غير زواج بينهما لمقاطعة جدوين اياه وتحريمه بيته عليه وعلى الفتين غرتا [illegible] ، وذلك رغم ما كان لشلى على جدوين من فضل امداده بالمال فى ظروف كان هو وزوجه هاريت فى أشد الحاجة اليه . بل لعل هذا الاسراف من جانب شلى كان أهم ما غير قلب عصفوره عليه ودفعها الى الحرص على أن تتمتع من الحياة بما يتمتع به غيرها من مثيلاتها مما كان يراه زوجها سفاسف لا تليق بالنفوس السامية . ولم يكن جدوين وحده هو الذى قاطعه ، بل قاطعته كذلك أسرة نيون ومدام دبوانفيل ، وانقطع عليه كل سبيل لرؤية كورنليا ترنر . ولم يبق له من أصدقاء يزورونه غير صديقه القديم هوج وصديق استحدثه فى الزمن الاخير يدعى بيكوك .

على أن عزلة شلى مع خليلته وجين لم تحل دون التهاب قلبين يحبه التهابا دفعهما الى ما يشبه الجنون . فقد شعرت زوجته هاريت وستبروك من يوم أعلن اليها عزمه على الاتصال بمارى جدوين أن ضرام الحب الذى كان قد خبا فى قلبها حتى صارت لا ترى عليها من بأس فى التحبب الى أمثال الضابط رايان ، تلهبه الغيرة من جديد . وأى شىء أفتك بقلب امرأة من رؤيتها امرأة أخرى تسلبها رجلها وتسلبها معه هناءها ومجدها ؟ انها لترى حقاً لها أن تعذب من تحب وأن تصدعه وأن تلاطف غيره . ولترى واجباً على محبها أن يرى فى صدها من علائم الدلال ما يقتضيه مضاعفة التودد لها والاذعان لكل أمرها والتماس الصفح عما دعا الى هجرها ، وان لم يك شىء قد حدث يوجب التماس الصفح عنه . بل لترى واجبا كذلك عليه ألا يقتضيها إسعاده أو تهوين الحياة عليه . فان فعل فهو أثر لا قلب له والأنانية ملء نفسه . أما إن رأى فى امرأة أخرى ملاك سعادته فأحبها فتلك الجريمة والطامة الكبرى ، وتلك المرأة الغادرة هى أحط من حملت أرض أو أظلت سماء . وكذلك كانت مارى فى رأى هاريت . وقد ازدادت لها بغضا ومن شلى إعراضاً حين بعث اليها يستضيفها عنده فى بيت مارى . أف لها من منافقين ! . وأف لهذه اللعينة مارى التى لا تراها هاريت تعدلها

رشاقة ولا جمالا ولا عذوبة صوت ولا حلاوة روح ، بل التى لم تؤت أى حظ من الجمال ، بل التى تستحق أن تسحق وأن تمض بالأسنان وتقلم بالأظافر . ولئن كان شلى قد ضعف أمامها كل هذا الضعف فلتنتقمن منه هاريت شر انتقام .

كان ذلك شأن هاريت . أما فانى إملاى فقد جعلت تحس فى بيت جدوين وحدة ممضة مؤذية ، وتشعر بنفسها غريبة ليس لها فى البيت أم ولا أب ولا صديق ، ويلذعها قلبها بذكر ما كان يفيض به إزاء شلى من حب واخلاص . فهذا هو شلى قد اختار مارى عليها . وهذه جين قد وجدت فى نفسها الجرأة لتصحبهما . أما هى فلم يبق لها فى الحياة الا أن تنظر الى أشباح اليأس تحيط بها ، وأن تتمنى لشلى فى نفس الوقت الهناء والسعادة . وكيف تراها تحمل له أى ضغن ولم يكن تفضيله مارى جدوين عليها الا حلقة من سلسلة سوء الحظ الذى أحاط بها منذ مولدها حتى جعلها تؤمن بأنها ولدت تحت طالع من النحس لا سبيل لمغالبته . ألم يمت أبوها فتزوجت أمها من جدوين ثم ماتت هى الاخرى تاركة إياها يتيمة الأبوين لا معين لها فى الحياة إلا بر هذا الرجل الذى استبقاها عنده رأفة بها واشفاقا عليها ! فاذا فضل عليها شلى أختها لأمها فليس ذلك أقسى ما أصابها به القدر . وبحسبها أن تظل على اخلاصها له ورثائها لما وصل اليه من فقر اضطره ليعيش وامرأتين معه عيش كفاف ودون الكفاف . بل لقد أثقلته الديون حتى اضطر دائنوه الى أن يلجأوا للقضاء فجعل رجاله يتعقبون شلى يريدون إلقاء القبض عليه كى يفى بديونه أو يسجن . ولولا يقظة فانى وإخطارها شلى بالامر وفراره من متعقبيه لذهبوا به الى السجن ثم لما تحرك قلب أبيه لاستخلاصه بعد الذى كان بينهما من قطيعة وجفاء .

وناء شلى بهذه الوحدة وثقل عليه حملها ونهكه الى جانبها هذا العيش الضنك الذى لم يتعود فى نعومة أظفاره ، فانهدت قواه واندس المرض الى صدره وأظلمت الدنيا فى عينيه ورأى شبح الموت مقبلا يبتلعه . كم كان من قبل سعيداً مع هاريت ! وكم كان سعيداً بحديث صديقاته والمعجبات بنبله وجماله وذكائه وسمو روحه ! . عادة تفيض عنه منعمة السنة من

قلب الرقيقة الجميلة العطوف مارى ، وهذا هو يرى نفسه مهجوراً منبوذاً يتحاماه الناس ويفرون منه فراراً ثم لا يكفيهم ذلك ، بل يريدون [illegible] قاتل . يا لليأس ! أين الآلهة ، آلهة الخير والنعمة والسعادة ! أحق أنك جميعا قد تخليت عن هذا الرجل لغير شىء الا انه صديق الفضيلة الخالص ونصير الحرية الصادق ! أو حق أنك حكمت عليه بالموت لأن حمية النفاق والوهم والباطل قد ابتعدت عنه ، خشية أن يفضح نوره ما فى ظلماتها من رجس وشقاء وجريمة ؟ لكن . فهذه مارى ما تزال تحنو عليه وتبعث اليه من دفء قلبها المملوء حبا ما يستبقى خيط الرجاء معلقاً فوق هاوية اليأس .

لكن خيط الرجاء هذا لم يمنعه من أن يرى الهاوية وكل ما حولها . بل لم يمنعه من أن يحدق فيها ببصره ويستمد من مناظرها المؤسية إلهاما ساميا أوحى اليه أول قصائده الكبرى : « الاستور ، أو روح الوحدة » . ويمثل هذه القصيدة شاعر شاب طوف فى الآفاق وجاب أقطار العالم أن رأى الوسط الذى يعيش فيه والجو المحيط به لا مهبط فيه لوحى الهدى ولا مبعث لسمو الالهام . « وأودت به خطا دائمة مسبح أفكاره السامية الى زيارة ما خلفت الايام الخالية من خرائب الآثار . فزار أثينا وتير وبعلبك والبطيح الذى كان مقاما لبيت المقدس وأبراج بابل المهدمة والاهرام الخالدة ومنفيس وطيبة وكل ما تخفيه تلال الحبشة السوداء الصحراوية من عجائب النقوش على المسلات والمقابر وآباء الهول المحطمة . وهناك خلال المعابد الخربة حيث تقوم العمد والصور العجيبة لما هو أعظم من الانسان ، وحيث ترقب شياطين الرخام أسرار نيران الزوال ، وحيث يعلق السلف أفكارهم الصامتة على صمت الجدران المشتملة إياه — هناك ، أمهل الخطا مستذكراً العالم فى صباه محدقا طوال النهار المحرق بهذه الصور الصامتة . وما كان القمر اذ يملأ الصالات العجيبة بظلاله المتموجة ليقفه دون متابعة استذكاره . بل ظل يحدق ويحدق حتى أضاء خلاء عقله نور كأنما هو الالهام القوى جعله يرى من خفايا الزمن يوم ولد ما يهز النفس » . وهنالك جاءت له صبية من بنات العرب بطعامه فكبلها غراما . لكنه ما لبث أن عاود تسياره خلال بلاد العرب والعجم والهند ، جوابا ربوع الأرض وأقطارها باحثاً عن الحقيقة ، حتى اذا كان يوما مستلقيا خلال غابة تظله رأى أثناء نومه « صبية مبرقعة تجلس الى جانبه وتتحدث فى أنغام مهوبة خفيضة بصوت كأنه صوت روحه حين يستمع اليه فى هدأة تفكيره ... وكانت المعرفة والحق والفضيلة مدار حديثها . كذلك كانت الآمال الكبرى فى الحرية المقدسة وما الى هذه

الآمال من أفكار هى أعز الافكار عليه . ثم كان الشعر أن كان هو شاعراً » . وتجلت الصبية له فى خلال هذه الآمال والافكار والمنى فاذا جمال شخصها عدل جمال نفسها . واندفع يحاول ضمها اليه والامساك بها ، لكنها تراجعت ثم ابتلعتها ظلمة النوم ولم تجبه . حاولته اعادتها الا أن ايقظته المرة فاذا القمر ينحدر الى المغيب وتباشير الضياء ترتفع خلال سجوف الليل « اذن ضاعت هذه الصورة الجميلة » . وضاعت الى الابد فى تلك الصحراء الواسعة لا طارق فيها حمراء النجم [illegible] ! أفيؤدى باب الموت الاسود [illegible] العجيبة أيها النوم ؟ » وينطلق الشاعر مفكراً أثناء تطوافه مستذكراً صورة النوم الجميلة ماضياً جمالها فى كل ما تضم الطبيعة بل الوجود من جمال . وفيما كان عند اليونان [illegible] بزورق لامالك له ألقى بنفسه فيه ودفعه الى لج الموج يتقاذفه رجاء أن يجد الى الموت سبيله . وتدافع الموج والزورق حتى دفع به الى جبال القوقاز فى نهر تحيط به احراش وغابات ، وهو خلال ذلك كله ما يكاد ينجو من خطر حتى ينجو منه خطر جديد يقرب له الامل فى النجاة بالموت والعود الى صورته الجميلة التى أراه النوم إياها . وفى هذه السياحة يشدو شلى متغنيا ببهاء الطبيعة وحلو حديثها العذب الى نفس بطله الشاعر المشوق للموت حتى يصل ببطله الى غايته . وفى سياحة الزورق هذه بين موج البحر وفوق لجة النهر يصف شلى فى النهر الذى أبدعه خياله ما نقل بصره الى حسه من آثار حين عوده من سويسرا راكباً نهر الميز ونهر الرين وما على شواطئهما من بدائع الجمال ، ويصف منابع التمس التى زارها بعد عوده الى انكلترا وحين هذه المرض ، ويصف تلك المناظر الساحرة التى تهز القلب والفؤاد — مناظر شواطئ التمس كانت وما تزال مثال جمال قل فى الجمال نظيره .

قال شلى مقدما قصيدته هذه لقرائه :

« والصورة ليست خالية من العظة لابناء الحياة الحقيقيين . ذلك ان الشاعر [illegible] عزلته وانحصار خواطره فى نفسه ، تثار منه شياطين عاطفة قاهرة ما تزال تطارده وتخب به لتبلغ وإياه الى الدمار السريع . على أن الذين لا يخدعهم خطأ سخى ، ولا يدفعهم ظمأ مقدس الى شك المعرفة ، ولا تضلهم خرافة باهرة ، ولا يحبون شيئاً على هذه الارض ولا يتعلقون بأمل وراءها ، ويقفون بمنأى عن التعاطف مع ابناء جنسهم ، لا يسرون بأفراح الانسان ولا يأسون لاحزانه — هؤلاء وامثالهم يبوءون بلعنة عادلة : يذوون لأنه ما من أحد يشاطرهم الاحساس بطبيعتهم ، فهم أموات الاحياء ، لا هم اصدقاء ولا عشاق ولا آباء ولا هم من ابناء الدنيا ولا المحسنين الى بلادهم — وأخلق بالذين لا يحبون بنى جنسهم أن تكون حياتهم

عقيمة وأن يهيئوا « لارواحهم فى كهولتهم» قبراً موحشا . »

وانك لترى كل تلك المعانى التى أوردتها المقدمة متجلية فى أبهى صورها وأعظمها جلالا وروعة فى هذه القصيدة التى لا تزيد على سبعمائة وعشرين بيتا، والتى تمثل حياة نفس عباد الوحدة وعشاق الطبيعة مصورة فى ألحان سماوية الموسيقى الى حد يحملك معه على موج أنغامها حتى لينسيك فيها جمال الانغام بديع الصور ، ولينسيك ابداع الصور روائع التفكير، ولتنسيك روعة الفكرة جمال النغم . ثم تتزاوج الانغام والصور والافكار فيلد تزاوجها صورة الشاعر الشاب شلى فى وحدته المنقطعة وأمله المتهدم فى الحياة ومواجهته الموت فى رعدة تتغلب عليها قوة نفسه، وانتصاره بعد ذلك على الالم وعلى المرض، وعلى الوحدة وعلى الموت بهذه القطعة الخالدة من موسيقى شعر الآلهة .

وفيما كان شلى فى هذه الحال توفى جده السير بيش وآل اليه بالوصية ايراد سنوى يبلغ ستة آلاف من الجنيهات . ولو انه لم يكن فى شغل بتفكيره وبشعره ، ولم يكن ينظر الى مزيد المال على أنه جريمة تدفع الى النقص وتزرى بالفضيلة ، لناصب أباه الخصومة حتى يصل الى كل ما أوصى به جده . لكنه لم يرد الانقطاع لعرض الدنيا اذا وجد ما يسد حاجته ويكفيه شر دائنيه . لذلك قبل أن يرتب له أبوه من ذلك الميراث كله ألف جنيه فى السنة تكفيه وتكفى مارى وتكفى من يلوذون به من صحبه. وردت اليه هذه الطمأنينة المادية شيئاً من سكينة النفس كان فى أشد الحاجة اليه ليتغلب على مرضه . وتغلب بالفعل عليه. وبدأ فى سماء المجد يتألق له نجم ان لم يكن ساطعاً سطوع نجم بيرون فقد كان موضع التقدير من بيرون نفسه . على أن الاقدار لم تكتب لنفسه طول سكينة يوما من الايام . فقد بدأت مارى على جمال حكمتها ورجاحة عقلها تحس الغيرة لوجود جين معهما فى البيت . وزاد لهيب هذه الغيرة ضراماً حين حملت فلم تستطع ملازمة شلى مما جعل جين تصحبه فى جولاته. وتعود واياه متوردة الخدود فياضة القلب بما يبعثه شلى الى كل ما يتصل به ومن يتصل به من جمال الوجود. وما عسى يصنع شلى بازاء غيرة مارى الا أن يطأطئ لارادتها ويخضع لمشيئتها، وبخاصة ان جعلها الحمل فى حال عصبية تثير منها كل مناقشة اياها لمشيئة تعانها دموعا تذرى وأنات ألم تقطع النياط الحساسة لقلب محبها الصادق الاخلاص ، والذى لا يرى مع ذلك فى الحب معنى الاثرة الذى يذكى الغيرة بل معنى التسامح التام والاشتراك مع كل من فى الوجود فى الاحساس والعاطفة . واضطرت جين لمغادرة المنزل وفى نفسها من الحب لشلى ما بغض مارى اليها ودفعها للتفكير فى الانتقام لانفها الجريحة. ولم يعوزها طول بحث لتدبير الانتقام . فاذا كانت مارى تعتز بخليلها شلى وما له من نبل ومجد ومال فلتتخذ هى خليلالها أعرق من شلى نبلا وأعظم مجداً وأكثر مالا . وليكن هذا الخليل لورد بيرون نفسه . ولم تلق فى تحقيق غايتها عنتا الم يكن بيرون ينظر الى الحب نظرة شلى ولا كان يغبأ

حين علمت بنجاح صاحبتها ولم يبق بعد عندها موضع للغيرة منها.

— وظلت مارى فى سكينتها حتى وضعت طفلا لثمانية أشهر من الحمل فلم تقدر له الحياة. ولم يطل بها الحزن عليه أن حملت مرة أخرى وان وضعت غلاماً أسمته باسم أبيها وليم. لكنها برغم سعادتها بهذا الطفل الثانى ورغم شعورها بكل ما فى الامومة من مزيد فى الحياة جعلت تحس وحدتهما وسط الجمعية الانكليزية تزداد وطأتها ثقلا عليها وعلى زوجها . وأكثر من الشعور بالوحدة كان شعور آخر يهيج غيرتها بمقدار ما يهيج آلام زوجها ويبعث الى نفسه نوعا من لذع الضمير طالما حاول اخفات صوته ، ثم ظل مع ذلك دائباً على تعذيبه . فقد أصبح هجره هاريت موضع حديث الناس وموضع لغو أصدقائه كذلك . وكان اجماعهم منعقداً على ان البائسة لم تأت اثماً ولم تجن ذنباً وإنما الذنب والاثم على شلى الذى هجرها وتبدل بها غيرها وظن ان لم تبق له جريرة عندها ما دام قد ضمن لها ولابنائها منه رزقها . وألح بالزوجين هذا الشعور فانتهيا الى استحالة المقام بانكلترا وضرورة هجرتها الى حيث لا يعلم قصتهما أحد . واذ كانت هواجس مارى قد هدأت من ناحية جين وكانت هذه وحدها هى شريكة حبهما وصلتهما منذ نشأتهما فقد سمعا اليها حين اقترحت عليهما السفر الى سويسرا للمقام عند ضفاف اللمان على مقربة من جنيف. وزاد مارى اطمئنانا الى اقتراح صاحبة سرها أن علمت انما حملها عليه اعتزام بيرون أن يسافر الى تلك الناحية فراراً من اتهام الجمعية الانكليزية إياه بمعاشرة أخته أوجستا . فان تعود بين جين وشلى اذن أية صلة مادام بيرون سيقوم منها مقام شلى من مارى. واذن فليسافر ثلاثتهم الى ضاحية جنيف ولينتظروا هنالك مقدم النبيل العظيم.

ووصل الجوار ثم وصلت الصداقة ما بين بيرون وشلى . وزاد الصلة بينهما ان ظلت جين مقيمة عند شلى مترددة آناء الليل وأطراف النهار على بيرون. على أن أمتن ما قوى صلتهما كان الوسط الذى يعيشان فيه ، وسط سويسرا الشعرى البديع الذى يوحى الى النفس والقلب والفؤاد ما يملؤها شعراً ويزيدها للجمال تقديساً . وكان هذا الوسط أول تعارفهما فى أجمل فصوله، فقد نزلا بجنيف إبان بواكر الربيع فى مختتم ابريل ومفتتح مايو حين تبدأ حياة الطبيعة يقظتها من سنة الشتاء ، وحين تبدو أوراق الشجر فى زهو خضرتها الجديدة مازال لها كل صباها وكل ما للصبا من بهاء وزهو ، وحين الثلوج ما تزال تغطى قمم الجبال وتنكسو طول سفوحها كساء يلمع ضياؤه أثناء النهار ويكسوه شفق المغيب كما يكسوه مطلع الشمس من الاحمر القانى الى الاحمر المتورد ، بما يملأ خيال الشاعر بأجمل الصور ، وحين تنعكس سفوح الجبال وقممها الرائعة على سطح مياه البحيرات حين يكون هذا السطح هادئاً ، فاذا هبت الريح الموج متلألئا لموقه وأرى السفوح وأشجارها والقمم

هذا الوسط صلة الشاعرين ان وجدا فيه خير مسرح لخيالهما المتوقد وأن شعرا فى شغاف قلبيهما بحب له يزداد استعاراً كلما ازدادا من هذا الجمال الساحر متاعا. وذلك فرق ما بين حب الطبيعة وحب المرأة . بل هو فرق ما بين حب المرأة وحب كل جمال غيرها فى العالم . حب المرأة أنانى أثر غايته الحيازة والملك والمذلة والاسترقاق. فكل شركة فيه تنتهى الى الجريمة عمراً كانت الجريمة أو غيرة تنتهى الى القتل وما هو شر منه. أما حب الجمال فى غير المرأة فهو الحب الذى ينهمه شلى وينادى به ويدعو الى الشركة فيه. هو تقديس الجمال فى كل مظاهره والاشتراك فى هذا التقديس ليزداد بالاشتراك سمواً وجلالا. وكم كان لجمال سويسرا واشتراك شلى وبيرون فى تقديسه من أثر فى شعرهما . على أنه مع ذلك لم يقرب بين روحيهما، لأن كل واحد منهما كان يختلف عن الآخر فى نظرته الى الحياة تمام الاختلاف . فقد كان عقل شلى وقلبه وشخصه وكل وجوده شعراً خالصاً : كان لا يعرف شهوات الانسانية ، ولا يخلط بنفسه وضيع عواطفها، وكان لذلك يرى جمال الكمال ملموساً محسوساً ، وكان يصور كل ما يقع عليه حسه وكل ما يجيش بقلبه فى أنغام من الشعر والنثر لا أثر لغير روح الجمال وعبادته فيها . وانك لتعجب حين رجوعك الى ديوان شعره والى رسائله وكتبه اذ ترى كل سانحة من السوانح وكل منظر من المناظر وكل ما اتصل بشلى فى يقظته وفى نومه ، قد اكتسى ثوب الجمال ، وإذ ترى هذا الجمال مصوغا أنغاما قدسية يختلط عليك حين تقرؤها أشعر هى أم موسيقى أم رسم وتصوير . أما بيرون فكان شاعرا،ولكنه كان انسانا له كل شهوات الانسان قوية غالبة عليه متحكمة فيه،وكان يرى الجمال من خلال هذه الشهوات فيشدو به فى شعره ساميا بهذه الشهوات نفسها الى سماء الشعر ملبسا إياها شفوف الجمال . وكان بيرون شغوفا بالمجد تتسلط عليه شهوته الى حد أشفق معه عليه شلى كما أشفق عليه لضعف نفسه ونزوله الى مراتب الانسانية الوضيعة رغم ما انعمت به آلهة الشعر عليه من جمال فى النفس وسمو فى الفكر . وكم حاول أن ينزع به الى غير ما تدفعه اليه شهواته،وأن يجذبه الى ناحيته، ناسيا أن ليس فى مقدور انسان تحوير طبعه . ولم يتغير عليه بعد ما افترقا، بل جعل يراسله طمعا فى انقاذه من براثن شهواته التى كانت فى نفس الوقت مصدر كل وحيه والهامه.

ورغم ما امتلأ به قلب شلى من جمال سويسرا فقد كان دائم الحنين الى بلده . وكان حنينه قويا منذ أول مغادرته مواطنها وان كانت هى التى ألجأته الى هجرها والفرار منها . قال فى خطاب بعث به الى صديقه بيكوك يعبر عن حنانه : « إنكم لتعيشون على شواطئ نهر مطمئن بين تلال خفيضة تغطى الغابات سفوحها، ثم إنكم لتعيشون فى بلد حر لا يحول بينكم وبين ما تسلون الهم والمطمئنون فيه الى ما يقع فى ملكتكم . وما يقيسه هنالك ممالك وما يقيسه اعتباراته الاثرة التى تتجاوى فكرة الملكية عليها فانا واثق أن انكلترا أكثر الممالك حرية

حياتك . على أنى ان عدت واحتذيت مثالك فلن آسف على ما رأيت من ممالك أخرى . فبلدنا لا ريب كثير من الخبيث والطيب، وكثير يزدرى وكثير يمكن السمو به نحو الكمال . لكن ذلك كله لا يعرفه ولا يحس به من لم يبرح حدود وطنه. ومادام الانسان على ما هو اليوم عليه فان التجربة التى جربها ان تدعوه لاحتقار الامة التى ولد فيها . بل على العكس من ذلك. هو لن يقدرها ويربطه بأمته حب حتى يجعله الغياب عنه أشد شعوراً بجمال فشعراؤنا وفلاسفتنا وجبالنا وبحيراتنا ومروجنا ومزارعنا التى لاشبيه لها عند غيرنا — كل هذه روابط لن تتبدد ولن تتحطم أو أصبح ولا ادراك عندى ولا حس لى»

وربما فات شلى أن يذكر شيئاً آخر يربطه بانكلترا ولا يقل عن كل ما ذكر قوة ذلك عصفوره هاريت وابنه يانت وابن هاريت المنسوب اليه وان أنكر هو أبوته . فلقد كان كثير التفكير أثناء وجوده على شواطئ [illegible] فى هاتيه التى ترك وان كان يعلم أنها فى حاجة مادية بما أجراه عليها من رزق وما يجريه أبوها عليها من رزق مثله. وكان يعلم من أخبارها أنها ساء سلوكها وانحدرت الى مستوى يقرب من الدعارة ، فكان يحس على نفسه فى ذلك بعض التبعة، ويحاول اقناع نفسه بما يزحزح التبعة عنه. ولئن كانت هاريت قد أساءت اليه أفليست يانت ابنته ويجرى فى عروقها الدم الذى يجرى فى عروقه. لكنه لم يكن يستطيع الاسراع الى مغادرة سويسرا ومارى متعلقة بها جريحة القلب من سوء صنيع مواطنيها بصاحبها وبها. لذا اقتنى بالاشتراك مع بيرون زورقا جعلاه رياضتهما عليه فوق لج البحيرة مستوحى الالهام [illegible] وكثيراً ما كانت تصحبهما مارى وجين، فتتغنى هذه الاخيرة بصوتها الحلو الرقيق توقع أنغامه على موجات هواء الجبال العذب الصافى ما يزيد الهواء والبحيرة والجبال جمالا وما يزيد الهام الشاعرين روعة وقوة .

على أن جين كانت قد حملت من بيرون [illegible] كانا فى انكلترا وآن لها وهى فى سويسرا أن تضع طفلة دعتها كلارا أليجرا. من يومئذ بغضت الى نفس بيرون، وازداد لها بغضا حتى تحدث الى شلى فيما يريد أن يصنع بالطفلة وبأمها. وكان بيرون فى هذا الظرف غليظ القلب مغاليا فى التبجح باحتقار خليلته واحتقار النساء جميعا واعتبارهن متاعا لشهوة الرجال الى حد لم تطق الذكية الانوف مارى ولم تطق معه البقاء على مقربة من هذا الذى يدعوه الناس [illegible] قحة، ويحسبونه شاعر الحب فاذا حبه شهوة واذا شعره غليظة كبد حتى على ابنته . [illegible] الفصول عندها بعاطفة الحب [illegible] السماسية وآراءه فى المودة والتسامح [illegible] وشاركت شلى فى فكرة العودة الى الوطن [illegible] الى بيكوك يطلب اليه أن يستأجر لهما [illegible] على شواطئ التيمز وبين الاحراش [illegible]
وعادوا الى لندن وفى عزم شلى [illegible] بوطنه طول حياته ، غير ذاكر أن [illegible] لأحد على [illegible] من فوانح تسلط [illegible]

حين كانوا بسويسرا. وكانت رسائلهم لها تبعث الى حياتها البائسة خيطا من نور الامل فى رؤيتهم يوما من الايام. فلما عادوا الى لندن وعاشوا فيها عيش يسار استمتعت به جين مع وجود أمها فى بيت جودوين ترهق فانى وتعذبها فى حين كانت هى أحق بهذا اليسار الى جانب أختها مارى ، ولما كانت لا تستطيع الالتجاء الى بيت شلى لتعلق قلبها به تعلقا يجعلها لا تطيق المقام الى جنب مارى، بعثت اليهم صباح يوم من سنة ١٨١٧ بخطاب من برستول تقول فيه : « انى ذاهبة الى مكان أرجو ألا أعود منه أبداً » . فسارع شلى بالسفر الى برستول ومنها عرف الى أين سافرت الفتاة، وذهب الى الفندق الذى نزلت به فالفاها انتحرت بالسم وتركت خطابا تذكر فيه أن بؤسها كان سبب اخترامها أيامها وقضائها على حياتها .

بهز هذا الحادث قلب شلى وأعصابه . وزاده اهتزازاً ما ذكرته مسز جدوين من أن فانى انتحرت لفرط حبها إياه حباً ضاع كل أمل فى أن يجد ما يجيبه . وعن هزة قلبه يعبر فى أبيات ستة يقول فيها: « اصابت الرعشة صوتها ساعة رحلنا وما كنت أدرى ان القلب الكسير بينها ، فرحلت ولم أعن بما التقيت من كلمات. إيه أيها البؤس ! ان هذه الدنيا الفسيحة ميدانك » على أن قلبه بلغ غاية الانطراب لحادث آخر ليس دون هذا الحادث فظاعة ولا قسوة. ذلك أن هاريت بلغ من انخراطها فى اللهو أن حملت من أحد عشاقها وأن تقدم بها الحمل وأن شعرت إذ ذاك بما يتهددها من عار يسقطها أمام شلى ويرفع مارى فى نظر الجمهور عليها ويوقع على رأسها ما كانت تزعم أنها تدبره من أسباب الانتقام، فذهبت الى نهر ألقت بنفسها فيه، فماتت منتحرة هى الاخرى . ولم يكن بين انتحارها وانتحار فانى الا أيام. وذكرت التيمس خبر انتحارها وسببه من غير أن تذكر اسمها ، وكان هذا الخبر أقسى مما يستطيع شلى أن يطيق. دعارة فحمل فانتحار . يالعار ! ويا بؤس ابنائه بأم تلك خاتمتها ! ويا بؤسه هو بحياة تسير بسرعة الذبول الى أوراق الربيع منها فتهجره ابنة عمه هاريت جروف وتعقه أخته اليزابث ويغتبط بالتخلص من مس هتشنر وتتجافاه كرنليا ترنر وتتحرز بسببه فانى املاى وهاريت وستبروك . وترى هل آن لهذا البؤس أن ينتهى وللقدر أن يهدأ عليه نائرته ؟

ولكن لا ! فقد طلب حضانة أبنائه من هاريت خالته فى ذلك أبوها وتقاضيا فأنصف القضاء الجد بحجة أن عقيدة شلى فاسدة ويخشى أن يلحق أبناؤه عليها، وإنما خفف من هذا الحكم أن عهد القضاء بالحضانة الى من اختاره شلى مطمئنا على اقامته فى تربية ابنائه.

وأتاح له انتحار هاريت أن يعقد على مارى وأن تعود لذلك صلته بجماعة جدوين. وكان الموز قد ألح يؤلف (الجدل السياسى) حتى بيان حالة على شلى هو الآخر وحتى جعله يعود الى الاستدانة من جديد . ولم يكن جودوين وزوجه وحدهما هما اللذين كفل شلى [illegible] الظرف [illegible] بل أعان صديقه لى هنت [illegible]

صديقه بيلوك كى يتابع كتابة روايات رأى شلى فى كتابتها خيراً واصلاحا للجماعة. مع ذلك كله ، مع الاضطراب المالى ومع انتحار فانى وهاريت فى أيام، ومع منازعة وستبروك إياه فى حضانة أبنائه ، فقد تحصن شلى بارادته الصلبة وحاول أن يقهر كل هذه الآلام ويتغلب على كل المتاعب . وشلى، على رقته وإيثاره وعبادته الجمال وتعلقه بأنغام الشعر، كان ذا عزيمة لا تعرف المستحيل ولا تقف فى سبيلها عقبة من العقبات. تحصن بهذه الارادة وحاول أن يظهر أمام الجمعية وكأن لم تفجعه فاجعة ولم تغير الحوادث التى مرت من نفسه. فابتاع بيتاً ظريفاً فى مارلو أقام فيه مع مارى وابنه وابنته منها ومع جين وابنتها من بيرون . على أن الارادة الصلبة والعزمة القوية تستطيعان مغالبة الوجود وقهر المستحيل مادامت الروح التى تحركهما وتصدران عنها مطمئنة قوية لم يندس اليها ما يضعفها ويزعزع ركنها. فأما ان ضعفت الروح واهتزت قوتها المعنوية فقل على الارادة وعلى العزيمة وعلى كل قوة من قوى النفس السلام . وقد هدت الحوادث التى مرت بشلى من روحه فتضعضعت وضعفت . وشعر بهذا الضعف فانطلق ملتمساً الوحدة كى يخفى عن الناس ضعفه . والانوف المعتز بقوة نفسه لا يشعر بجرح ينال منه مبلغ شعوره بأن يراه الناس ضعيفاً مثلهم خاضعاً لتصاريف القدر خضوعهم . فى هذه الساعات التى يغتال المرض فيها من جسم ذلك الانوف أو تنال الحوادث من نفسه يود لو أن الانسانية كلها ولو أن أقرب الناس اليه من ذويه وأهله لم يكن حوله منهم أحد ليطلع على ضعفه أو يشاهد هبوط نفسه. وجعل شلى يذهب الى جزر التمس المنقطعة يقضى فيها نهاره وشطراً من ليله يشاهد الطيور السابحة فى الماء والمحلقة فى الجو، ويحاول استعادة سكينته بالتحليق فى عالم الشعر واستمداد القوة الروحية من وحيه. ولم يكن فى استمداده هذه القوة يرجو غير ما كان يطمع فيه أول صباه من تحقيق سعادة بنى الانسان . فقد زادته الحوادث التى كرت عليه ايمانا بأن نظام الجماعة الفاسد هو الذى دفع الى هذه الكوارث المتوالية وتلك المآسى الفاجعة التى تذهب باللب وتصدع القلب. وكانت قصيدته الكبرى الثانية — ثورة الاسلام — والتى كان يصقل فيها من قبل أن تفجأه الحوادث تباعا، قد فرغ منها أو كاد. فوضع قصيدة أخرى أسماها «لاون وسثنا» ضمنها مسارح أفكاره فى ذلك الظرف العصيب من حياته . وضعها أثناء تلك الجولات فى احضان الوحدة مقتضيا نفسه أن يكون فيها مثال سمو فوق الارض والالم وكل أسباب الضعف الانسانى الذى لا يليق بأمثاله ممن يؤمنون بأنهم يقبضون بيدهم على ناصية الوجود .

ولم تكن جولاته ولا كان شعره ليرد اليه طمأنينة نفسه أو ليدفع عنه غائلة همومها . بل لقد جنت هذه الهموم على صحته وردت اليه مرض صدره وجعلته يفكر جاداً فى وسيلة البرء من علته . كتب الى جودوين فى ٧ ديسمبر خطابا يصف له فيه حاله جاء فيه : « وكانت صحتى أسوأ بالفعل . وهبط مشاعرى أحيانا الى حد الذهول والموت ، وتتوتر أحيانا أخرى الى حد غير طبيعى من التهيج . ولا تقتصر تلى مثل ثما يعذبنى خاصا ببصرى . فان أوراق الحشيش وغصون الاشجار البعيدة لتبدو لناظرى بدقة مكروسكوبية . فاذا أقبل المساء غرقت فى بحار من الهبوط وضعف الحياة وبقيت مستلقيا — فى كثير من الاحايين — ساعات على المضجع وأنا بين النوم واليقظة فريسة تهيج ذهنى مؤلم أشد الألم . ذلك أمرى إلا فى قليل . أما الساعات التى خصصت للبحث فقد اخترتها بعناية من بين الساعات التى أستطيع المقاومة فيها . على أن ذلك كله ليس هو سبب تفكيرى فى السفر الى ايطاليا، طمعاً فى أن تنقذنى منه . كلا ! بل لقد عاودتنى نوبة صدرية . ولئن كانت قد انتهت الآن غير تاركة وراءها أثراً لوجودها الا أن هذا العرض دلنى على حقيقة المرض الذى يؤويه صدرى . ومن مصلحتى أن يكون هذا المرض بطبعه بطيئاً وان الانسان إذا عنى بتتبع تقدمه استطاع التغلب عليه والبرء منه فى جو دافئ . فاذا عاد هذا المرض على صورة واضحة أصبح واجبا على أن أسارع بالذهاب الى ايطاليا . على أنا إنما نسافر حين يصبح السفر واجباً محتوما ، لمخالفة هذا السفر لمقاصدنا أنا ومارى متأثرين بعواطفنا نحوك . وأحسبنى فى غنى عن أن أذكرك ، فضلا عن آلام الذين يعيشون بعد موت عزيز عليهم، بسلسلة النتائج السيئة التى تترتب على موتى . وإنما يحملنى على هذه الصراحة القاسية ما بدا لى من أنك لم تدرك حقيقة مقصدى . فليست الصحة وإنما هى الحياة التى أبحث عنها فى ايطاليا . ولست أبحث عنها من أجلى ، فأنا أشعر بالقدرة على ازدراء مثل هذا الضعف ، وانما أبحث عنها من أجل أولئك الذين تفيض عليهم حياتى سعادة ومنفعة وأمناً وكرامة ، ومن بينهم من ينقلب عليه أمر هذا كله الى النقيض إذا أنا مت»

وما يشير اليه شلى من سوء فهم جدوين إياه هو تأويل جدوين سفر صهره الى ايطاليا بأنه الفرار من معونته المالية . على أن مارى لم تبرح انكلترا حتى كفلت لأبيها عن طريق شلى رزقا يتقيه فى شيخوخته . كما كانت طوال اقامتهم فى إيطاليا لا تنفك تعينه بتخصيص ما يقع لها ثمنا للروايات التى تكتبها لمعونته. ويدفع شلى ليزيد فى هذه المعونة جهده . ولعل احساسها بحاجة شلى الى السفر كانت أشد من احساسه هو . فقد أقلقها جين وابنتها وطمعت حين وجودها على مقربة من بيرون ان يضمها اليه . على انهم ظلوا ينظمون شؤونهم ويبيعون دارهم فى مارلو ويقتضون الناس فيها ما يستطيعون اقتضاءه منهم حتى استطاعوا اعداد اهبتهم للسفر . وسافروا فى منتصف مارس سنة ١٨١٨ قاصدين ميلانو ليذهبوا بعد منها الى البحيرات الايطالية آملين أن يجد شلى فى شمسها وهواء الجبال عندها ورقة الطبيعة المحيطة بها ما يشفى صدره ويرد اليه سكينة نفسه .

وأقاموا بايطاليا خمس سنوات انتهت بموت الشاعر غرقا . وكانت سنوات خمساً فاض فيها من الشعر عن شلى ما كتب له الخلود . وهذه السنوات الخمس وشعر شلى هو ما نحدث القارىء عنه فى مقالنا القادم والاخير من هذه السلسلة .

محمد حسين هيكل

الكتاب المصري الأخضر

عن مفاوضات صيف سنة ١٩٢٩
التي أدت الى مشروع المعاهدة الانكليزية المصرية

(نقلا عن الاهرام الغراء)

بيان

عن مفاوضات صيف سنة ١٩٢٩

التي أدت الى مشروع المعاهدة الانكليزية المصرية

أبحرت من الاسكندرية في الثالث عشر من شهر يونيو قاصداً الى انكلترا لحضور الحفلة التي رسمتها جامعة كسفورد لتقليدي لقب دكتور في القانون، وكنت قد أزمعت على أي حال زيارة تلك البلاد في صيف هذا العام لاستئناف الحديث في أمور أخرى كنت أرى ان آن الاوان لتحريكها وتقديمها خطوات محسوسة.

أما الاحاديث التي كنت أريد استئنافها فهي الخاصة بالامتيازات. وقد يذكر ان الحكومة المصرية كانت دعت الى عقد مؤتمر ينظر في بعض تعديلات قضى التطور والعمل على تحقيق مظاهر السيادة الداخلية بادخالها في لائحة ترتيب المحاكم المختلطة، وأخصها توسيع اختصاص هذه المحاكم توسيعاً جزئياً ليشمل بعض الجنايات والجنح التي كثرت الشكوى من بقائها خاضعة للقضاء القنصلي أومست الحاجة لادخالها في سلطان القضاء المحلي. وقد سكنت المفاوضات بشأن هذا المؤتمر زمناً فلما وليت وزارتي الحكم اعادت تذكير الدول بهذه المسألة. ولم يمض زمن طويل حتى وردت أجوبة معظم الدول متضمنة ملاحظاتها. ولما كان أهم تلك الملاحظات متعلقاً باعادة النظر في نظم التحقيق الجنائية ونظام السجون والنيابة العمومية، كان من الطبيعي أن ينتقل الموضوع من نقل بعض الاختصاص الجنائي للمحاكم القنصلية الى نقله كله. ذلك ان البحث في هذه النظم لا يقتصر أثره على بعض الجنايات والجنح دون البعض الآخر. والواقع أن تعديلها على وجه يحدث الاطمئنان لكفاية القضاء المختلط يسقط كل اعتراض على تعميم الاختصاص الجنائي لذلك القضاء بحيث يشمل الجنايات والجنح جميعا.

وكانت أعمال اللجنة التي شكلت للبحث في تعديل النظم المذكورة قد تقدمت قبيل سفري شوطاً بعيداً، وكان ما يقدر لها من التوفيق في الوصول الى نتائج مرضية بحيث يبعث في النفس ثقة بامكان نقل مسألة توسيع الاختصاص في طور التوسيع الجزئي الى طور التوسيع الكامل من الوجهة الفنية أو القانونية لم يبق الا العمل على تحقيق هذه الغاية من الوجهة السياسية، وهو ما كنت أبغي الوصول اليه بمحادثاتي مع وزارة الخارجية البريطانية.

كذلك جرت أحاديث بيننا وبين وزارة الخارجية البريطانية في أمر الضرائب التي تتوي [illegible]

هذا الشأن حديثاً في مبدأ سلطة الحكومة المصرية وحقها غير منازعة ولا مدافعة في اخضاع الاجانب لكل ما يفرض على أهل البلاد من الضرائب، فقد قضت ضرورات المفاوضة بالبحث في ضرائب معينة مع الاحتفاظ بمسألة المبدأ. وكان لمعالي وزير الخارجية في هذا الصدد مجهودات مباركة أثناء زيارته لوندره في شهر ابريل سنة ١٩٢٩ جعلتني عظيم التفاؤل بحسن النتيجة. وقد كان من أغراض زيارتي تأييد مجهودات زميلي وتأكيد آثارها اذ كنا بازاء حكومة جديدة لم تشترك في الاحاديث السابقة.

أما الشؤون التي كنت أقصد الى فتح الحديث فيها لأول مرة فهي اثنان: دخول مصر في عصبة الامم، والسودان.

وقد كان دخول مصر في عصبة الامم من أولى المسائل في برنامج الوزارات التي تعاقبت منذ أعلن استقلال البلاد. غير أن عمل بعضها في هذا السبيل لم يزد على مجرد الذكر في خطاب العرش. وفي وقت من الاوقات أريد جس نبض المندوب السامي لتعرف الطريقة التي تلقى بها الحكومة البريطانية مثل ذلك الطلب اذا تقدم من مصر. فكان الجواب على ذلك أن الحكومة البريطانية لا يسعها الا أن تكرر لمصر ما سبق لها إعلانه الى سكرتارية عصبة الامم عندما أبلغت في سنة ١٩٢٤ بعض الدول، ومن بينها مصر، الاتفاق الدولي الخاص بتسوية المشاكل الدولية للانضمام اليه. وقد كان هذا الاعلان شبه تحذير حتى لا تعتبر المسائل المعلقة التي احتفظ بها تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ من المسائل التي يجوز أن تعالج أو أن تسوى بالطريقة التي قررها الاتفاق الدولي المذكور.

ولقد يظهر أن مسألة دخول مصر في العصبة لم تتقدم بعد ذلك كثيرا. على أني كنت أرى أن من مصلحة مصر أن ندفع بها الى قدر من التحقيق العملي وان لم تنل مصر كل ما تطلبه في هذا السبيل.

كذلك كنت أرى أن الوقت قد آن، خصوصاً بعد أن وضع الاتفاق الخاص بالنيل، لأن يعاد النظر في ما بقي من آثار الانذار البريطاني متعلقاً بالسودان للرجوع فيها الى ما كان عليه الحال قبل سنة ١٩٢٤.

تلك كانت أغراضي من زيارة لوندرة ومقابلة رجال السياسة البريطانيين، فهي لا تمتد الى تسوية عامة للمسألة المصرية ولكنها ترمي، على أساس تجزئة المسائل المصرية، [illegible]

العمل من جانب آخر في سداد الحالة القائمة على استفادة ما خسرته مصر من أمر السودان، وعلى المشاركة الجدية في الحياة الدولية.

لم يقف بي عند هذه الاغراض ولم يحل دون تعديها الى تسوية المسألة برمتها ضعف رغبة في الوصول الى تلك التسوية أوشك في فضل التسوية العامة على التسويات الجزئية، أو تردد، أو تهيب لتلك المقدمة التي اعياحلها كبار رجال مصر وبريطانيا، اذ كنت أعتقد ان صعوبات الحل ليست جوهرية، وانما هي نسبية ترجع الى الظروف التي قامت فيها المحاولات المختلفة لالتماس ذلك الحل، وأن الظروف قد تواتي في أي وقت فيسهل ما كان صعباً ويعود ميسوراً ما ظهر في حين من الاحيان عسيراً.

وانما حبب لي الاجتزاء بهذه الاغراض أنها كانت تتصل في اسبابها ومقدماتها بالسياسة التي انتهجتها الوزارة منذ عام. وكان لي بحق أن اعتقد ان تلك السياسة بما نشرته في صفوف السكان من الاطمئنان والسكينة واعادته للحكومة من أسباب الثقة والهيبة وما كشفت عنه من آفاق جديدة في تطور مصر ورقيها توجب علي ان أعمل في رفق وأناة على مواصلة السير فيها لأبلغ بها غايتها وأصل بها الى أقصى مداها وأبعد نتائجها. كذلك كان لي أن اعتقد أن نجاح تلك السياسة يسهل على مهمتي تسهيلا كبيراً.

وقف بي أيضاً عند حد هذه الاغراض المعينة أن الحكم في بريطانيا انتقل منذ أوائل شهر يونيو من ايدي حزب المحافظين الى ايدي حزب العمال، وأني قدرت أن الحكومة الجديدة نظراً لضرورة اعتمادها على معونة أحد الحزبين قد تتحرج من أن تحمل المسألة المصرية من أولى ما تعالج من المسائل وأن تستن فيها طريقا يختلف عما استنه الحزبان الآخران في ماضي حكمهما.

اتصلت اذن بذوي الشأن في هذه المسائل وبذلت في تذليل صعوباتها وتأكيد نجاح مساعي فيها كل ما استطعت من اقناع وقوة، ولكني شعرت بان الخطوات التي أتقدمها في هذا السبيل دون الجهد الذي أبذله والغاية التي ارسمها والنجاح الذي يحق لي بقوة مركز الحكومة المصرية في تلك المسائل المختلفة ان أطمع فيها. ولم ألبث أن تبينت أن مجهوداتي تكون أعظم توفيقاً لو عالجت المسألة المصرية بالجملة لا بالتفاريق.

وليس من شك في انه اذا تحققت النية بأن سيسود علاقات ما بين البلدين جو من الوئام والصفاء وانه سينفتح لهما عهد جديد يقوم على الصداقة وحسن التفاهم يكون كل من الجانبين أكثر استعداداً للتساهل في المسائل الثانوية والتفاصيل مما يعوق في أغلب الاحيان الوصول الى تفاهم صحيح.

سئلت اذن عما اذا كنت أشاطر الرغبة والاستعداد لمعالجة المسألة برمتها فكان جوابي لطبيعة الحال ايجاباً. فطلب الي أن أحدد ما تريده الامة المصرية لينظر فيما اذا كان من الممكن أن تسيغه مبادئ الحكومة البريطانية، وألفت نظري الى ان المشروع الذي تمخضت عنه المفاوضات بين المغفور له ثروت باشا وبين السير أوستن [illegible]

اتخاذه أساساً للحديث اذ كان ثمرة ابحاث مستفيضة وجهود صادقة من الجانبين في سبيل تقريب وجهتي النظر المصرية والبريطانية، على ان أبين ما آخذه عليه وننظر معا اذا كان ثمة سبيل لتحقيق الاتفاق بين البلدين.

ذهبت اذن أصور ما تريده الامة المصرية وما تفهمه من استقلال لا يختلط بالحماية أو بالوصاية أو بأي وجه من وجوه التبعية وأنقب ما في مشروع سنة ١٩٢٧ من قصور عن تحقيق تلك الغاية. وقد استطيع ان أجمل تلك الملاحظات — ان كانت مما يجوز فيه الاجمال — بان المشروع يترك احتلال البلاد قائماً وانه لا يمكن في يقين الناس أن يستقيم للاستقلال معنى أو تتسق له صورة الا اذا اقترن بزوال الاحتلال، وأن المشروع يوصف أنه محالفة لا يحقق على وجه كامل تكافؤ ما يجب أن يكون بين البلدين من الحقوق والتكاليف.

طلبت اذن فيما طلبت أن تستعيد الحكومة المصرية حريتها بالنسبة للاجانب فلا يشاركها أحد في هذا الشأن باسم حماية الاجانب والمسئولية عن أرواحهم وأموالهم، وأن تعدل الامتيازات بما يتفق مع روح العصر وحالة مصر الحاضرة وأن تلغى الادارة الاوربية. وأن تكون سيادة البلاد داخلية أو خارجية في جملتها وتفصيلها مطلقة من كل قيد فتزول سلطة الضباط البريطانيين في الجيش. ولا يبقى المستشاران إلا بمقدار حاجة الحكومة المصرية الى مشورتهما فيما تعتزمه من مشروعات الاصلاح الواسعة النطاق ويكون لها وحدها حق تقدير هذه الحاجة، ويراعى في اختيارهما وتعيينهما انهما موظفان مصريان.

أما السودان فقد طلبت أن تحترم وتنفذ اتفاقات سنة ١٨٩٩ بشأنه مؤقتاً. وعلى ذلك يعود اليه قسم من الجيش المصري كما كان الحال قبل سنة ١٩٢٤. ويجب أن تنقطع التدابير والاجراءات التي ترمي الى التضييق على المصريين فيكون شأنهم في حرياتهم ومصالحهم في السودان شأن الرعايا البريطانيين. وقرنت هذه التسوية الوقتية بالاحتفاظ بحرية الحكومة في المفاوضة في مسألته في الوقت الذي تراه ملائما.

بعد مناقشات طويلة وعسيرة في هذه المسائل وفي تأمين المواصلات الامبراطورية وتنظيم المحالفة بين البلدين، اتفق على أن تعد وزارة الخارجية مشروعا يضمن جملة ما اتفقنا عليه في هذه الشؤون جميعاً. وكان الرأي عندي أن تضمن المعاهدة الاحكام الكلية للتسوية الجديدة وأن يترك البيان والتفصيل لكتب تتبادل بين المفوضين تصدر تارة من الجانب المصري وطوراً عن الجانب البريطاني بحسب ما تقتضيه طبيعة الكتاب.

ولقد حرصت كل الحرص على أن تظل المفاوضات مأمونة العواقب اذا لم تنكشف عن نجاح أو اتفاق، فاشترطت الا يعرض مصري أي تضييق اذا تبين لي أن الحادثات لم تنم اتفاقا مرضيا فرفضته او اذا رضيت الاتفاق وعرضته على البلاد فرفضته او لم تقره [illegible]

[illegible] مشروع (آ)، فتوفرت مع سعادة عبد الحميد بدوي باشا على دراسته، لنتبين مطابقة المشروع المكتوب للاتفاق الشفوي ولنرى ماذا اذا كانت الاماني القومية حققت فيه على وجه مرض. وبدأت بعد ذلك أحاديث جديدة على أساس النص المكتوب انتهت الى المشروع المعدل وهو ملحق بهذا البيان ومشار اليه بمشروع (ب)، والمقابلة بين النصين تدل بذاتها على وجوه التعديل وما اتخذ من وسائل التدليل على صحته. على اني لا أرى بأساً من بيان ذلك على وجه الاجمال.

مشروع المعاهدة

فقرة أولى من ديباجة مشروع (أ)

لوحظ على هذه الفقرة انه يفهم منها أن ثمة التزامات دولية توجب التعاون بين الدول، والواقع أن ليس شيء من ذلك وانه اذا اريد التعاون فان محله هو تنفيذ الالتزامات الدولية المتعلقة بحفظ سلام العالم، وقد طلب تعديل هذه الفقرة بما يتفق مع هذا المعنى الاخير.

فقرة ثالثة من الديباجة

انه وان يكن مفهوم الاتفاق بيننا ألا يبقى أي أثر لانذار سنة ١٩٢٤، فمن غير المرغوب فيه أن يشار في المعاهدة الى ذلك الانذار لما تنطوي عليه هذه الاشارة من الذكريات المؤلمة. خصوصاً ان كل ما نشأ عن الانذار من الخلافات والمشاكل بين البلدين يدخل في عموم المسائل المعلقة التي احتفظ بها تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢

فقرة رابعة من الديباجة

أخذ على هذه الفقرة أنها تشير الى «مهمة مشتركة بين الدولتين لحفظ السلام وضمان سلامة أراضي بلديهما واستقلالها».

فانه اذا كان من الواجب أن تصاغ الحقوق والتكاليف في المعاهدة على أساس التبادل فان صيغة يستفاد منها ان مصر تضمن سلامة بريطانيا العظمى واستقلالها لا يمكن أن تكون نابية على السمع غريبة المعنى مريبته. وقد تنصرف في نفس من يقرؤها أو يسمعها الى انها ضرب من ضروب التعمية تجثم الحماية من وراء أستارها لاسيما أن الفقرة تتضمن اشارة الى مهمة مشتركة بين البلدين، مع ان الاشتراك لا يتصور ابتداء وقبل المحالفة بالنسبة لانجلترا، ولا يتصور كذلك بالنسبة لمصر، إلا أن يكون لوناً من حماية تجعل المحافظة على سلامة الاراضي المصرية واستقلالها أمرا مشتركا بين مصر وبريطانيا.

لذلك كله وجب أن تحذف كل اشارة الى مهمة مشتركة كما وجب تغيير التعبير الخاص بضمان سلامة الاراضي والاستقلال بآخر اكثر ملاءمة وأصلح لأن يكون أمراً تشترك فيه انجلترا ومصر على السواء. وقد اتفق على أن يكون ذلك التعبير الجديد هو الدفاع عن أراضي البلدين.

المادة الاولى

أخذ على هذه المادة أنها تزيد لا محل له، فقد ورد مثل عباراتها في الديباجة. ثم ان حل المسائل يخلص من الاحكام التي اتخذت أساسا للتسوية بأكثر مما يخلص من مثل هذا التأكيد الشكلي. وقد سبقت الاشارة الى الاعتراض على اعادة ذكرى انذار سنة ١٩٢٤ في المعاهدة. لذلك رجحت أن تحذف المادة أصلا وأن

يحل محلها كمادة أولى، بعد تعديل طفيف، الجزء الاخير من المادة الثانية، وهو اعلان زوال الاحتلال، باعتبار أن ذلك الاعلان هو الطابع الظاهر المميز للمعاهدة. أما التعديل فهو حذف عبارة «الموجود حتى الآن» في وصف الاحتلال. فان هذا الوصف قد يفهم منه من طرف خفي أن بقاء القوات البريطانية في منطقة القناة ضرب جديد من الاحتلال أو احتلال غير الاحتلال المعروف. ومن أجل ذلك اقترح أن تضاف الى المادة الثامنة الخاصة بالاذن لتلك القوات بالمرابطة في منطقة القناة، تلك العبارة الواردة في مشروع ملنر ومشروع الوفد لسنة ١٩٢٠ الدالة على ان بقاء تلك القوات لا يعد احتلالا ولا يمس سيادة البلاد، وذلك مبالغة في نفي كل شبهة، مما سيأتي الكلام عليه بصدد تلك المادة.

المادة الثانية

اقترح تغيير صيغة الجزء الاول من هذه المادة على نحو ما يرى في صيغة المادة الثانية من مشروع (ب) اتقاء لشبهة أن مصر تعترف بان بين بريطانيا ومصر علاقات خاصة من نوع الحماية كانت قائمة قبل المحالفة وجاءت هذه بديلا منها.

وقد سبق الكلام عن الجزء الثاني بصدد الكلام عن المادة الاولى.

المادة الثالثة

اقترح ان تنزع هذه المادة أصلا من المعاهدة. فان الواقع في أمر دخول مصر عصبة الامم أنه ليس جزءا من التسوية التي يراد وضعها بين البلدين وانه مستقل عنها وتحقيق لأمنية قديمة لم تزل حكومات مصر المتعاقبة منذ اعلان استقلالها ترجو تحقيقها. واذا كان ثمة ارتباط بينه وبين تسوية مرضية بين البلدين فهو أن عدم التوفيق الى تلك التسوية كان حتى الان حائلا دون اخراج الامنية المذكورة الى حيز التحقيق الفعلي. فالارتباط تاريخي ليس بينه وبين اجزاء التسوية علاقة مباشرة.

ثم ان المادة وضعها وصيغتها أشبه ما تكون بفرض يفرض على مصر وشرط يؤخذ عليها كما لو كانت كارهة للدخول. وقد تلقي في روع القارئ أن مصر تدخل العصبة لتكون من أتباع بريطانيا وحاشيتها فيها.

على ان مصر تحرص كل الحرص على الحصول على تعضيد بريطانيا العظمى لها في دخول العصبة، فليس ما يمنع اذن من أن يكون طلب التعضيد وقبوله موضوع كتابين يتبادلان بين الحكومتين ملحقين للمعاهدة.

ولقد ألاض الجانب البريطاني في استحسان تضمين المعاهدة أمر عزم مصر على طلب الاندماج في عصبة الامم لما في ذلك من ارضاء النزعة الدولية الحبيبة الآن ومن اكرام العصبة واحترامها. وذكر فضلا عن ذلك أن المعاهدة تشير في أكثر من مكان الى الواجبات المترتبة على ميثاق العصبة أو الى أحكام ذلك الميثاق وأنه يحسن، لاعطاء تلك الاشارات حق معناها وكامل مفهومها، أن يكون في صدر المعاهدة اعلان عزم الحكومة المصرية في هذا الشأن.

اتفق اذن على أن تضمن المادة في المعاهدة،

غير أنه قبل أن تعدل على وجه يرضي كرامة مصر ويدل على أن دخول مصر العصبة تحقيق لأمل قديم لها وعلى أن ذكر ذلك من جانب مصر جاء على سبيل الخبر ومن جانب بريطانيا على سبيل التعهد بالتعضيد.

المادة الرابعة

هذه المادة توجب تبادل الرأي لتسوية المسائل الخلافية بالطرق السلمية فمفهومها أن التبادل لا يكون إلا حين يبلغ الخلاف حد الخطر على صفاء العلاقات. ولكنها صيغت في شيء من الابهام قد يسمح بالقول بأن تبادل الرأي يكون في كل مسألة تقوم مع دولة أجنبية ومنذ يبدأ اختلاف الرأي، أي منذ تنشأ المسألة ومنشأ. الابهام أن شرط التبادل جعل أن تكون المسألة تفضي الى الحرب اذا لم تحل. وكم من المسائل الخارجية حتى الصغير منها لا ينطبق عليه هذا الوصف. ولقد يكفي أن تشتبك بمسألة أيا كانت، اعتبارات كرامة أو شرف قومي لتصبح في المقام الاول من الخلافات. ولما كان مثل ذلك الاشتباك مألوفا خصوصاً في بلاد الشرق التي عاشت طويلا ترسف في أغلال الامتيازات وكان ذلك الاشتباك على أي حال جائز التقدير في أي زمان ومكان، فان تعريف شرط التبادل يوشك ان يشمل كل ما تتناوله العلاقات الخارجية بمصر.

وقوينا الاعتراض على صيغة المشروع أن الحكم الذي أتت به المادة ينفذ على بريطانيا كما ينفذ على مصر بحكم قبول مبدأ تكافل الحقوق والتكاليف، فيجب لذلك أن يكون متصور التطبيق لمصلحة مصر على الوجه الذي يتعلق به عليها.

لذلك كله اقترح أن يكون مناط شرط التبادل تحقق الحالة التي يوجد معها خطر قطع العلاقات لا احتمالا تقديريا يكاد لا يتخلف في المشاكل الدولية. واخترت للدلالة على هذه الحالة الصيغة التي جاء ذكرها في المادة الثانية عشرة من ميثاق عصبة الامم والتي رتبت عليها الواجبات الدولية الخاصة بحفظ السلام ومنع أسباب الحرب.

المادة الخامسة

تختلف هذه المادة عن مثيلاتها في المشروعات السابقة في أنها ترتب لبريطانيا العظمى وعليها بقدر ما ترتب لمصر وعليها من الحقوق والتكاليف، وهو اختلاف له خطره. ثم أنها قصرت ما يمتنع على كل حليف عقده من المعاهدات المضرة بمصالح الحليف الآخر على المعاهدات السياسية، وهي صيغة أعم وآكد في حرية العمل من الاشارة الى حرية مصر في خصوص المعاهدات التجارية.

المادة السادسة

أخذ على هذه المادة أنها تكلف مصر الاعتراف بأنها وحدها المسئولة عن أرواح الاجانب وأموالهم، وهو أمر لم تزل تلح في المطالبة به وتنكر أن يكون الحال فيه على غير ما قضت به المادة. واذا كان أحد جديراً بأن ينفرد بهذا الاعتراف فهو الذي سيتحول حاله بهذا الحكم ويطرح عن كاهله ما كان قد تطوع في احتماله.

كذلك أخذ على جزئها الاخير أن الاصل في حماية أرواح الاجانب وأموال السكان قاطبة،

بل الحق ان حماية الأرواح والاموال ليست الا حكم البلاد حكما عادلا منظما. وشأن كل بلد يزعم لنفسه حق المشاركة في الحياة الدولية ويعتد لنفسه بمثل مالمصر من السيادة. فليس لهذه المادة مفهوم غير أن الامر رد الى نصابه الطبيعي ودخلت حماية الاجانب في عموم ما في ذمة الحكومة المصرية وعهدتها من حماية سكان البلاد. إذن يكون الكلام في اتخاذ التدابير اللازمة لتحقيق تنفيذ تعهدات مصر في هذا الصدد اخراجا للمسألة عن وضعها الحقيقي، فضلا عن انه يخشى تأويله على انه يجعل سبيلا للتداخل في الادارة المصرية في سكونها وحركتها كلما عن لبريطانيا رأي فيما يجب اتخاذه من التدابير لحماية أرواح الاجانب وأموالهم لا تكون الحكومة المصرية قائلة به أو عاملة عليه.

لذلك حذفت الاشارة الى التدابير اللازمة فاصبحت الجملة تكريراً بصورة أخرى للمعنى المستفاد من الشق الاول من المادة ومجرد تأكيد وقطع عهد بان سيجري حكم البلاد بطريقة عادلة منتظمة.

المادة السابعة

لم يكن بد في محالفة من فرض حالة الحرب، ولكن هذه الحالة لم تفرض في هذه المادة الاحاطة بالاشارة الى المادة الرابعة من جانب والى المادة الرابعة عشرة من جانب آخر، أي انها فرضت حربا تنشب في حدود الالتزام الذي أخذته الدول على نفسها بنبذ الحرب كأداة للسياسة القومية ولم يفلح في تجنبها كل ما قامت به الدولتان من تبادل الرأي وكل ما كفله ميثاق جمعية الامم من الوسائل الناجعة.

لم يكن كذلك بد، مع أساس التكافؤ في الحقوق والواجبات، من أن يبادر كل حليف بنجدة حليفه. على أن اختلاف ما بين البلدين من الوسائل والموقع دعا الى شيء من التخصيص في وصف تلك النجدة. فهي بالنسبة لمصر أوسع من جانب وأضيق من جانب آخر مما يدين به الحليف عادة لحليفه. هي أوسع اذ تتعهد مصر، في حالة اذا لم تكن الحرب نشبت فعلا بل كانت توشك أن تنشب فقط (حالة خطر الحرب) بأن تبذل ما في وسعها من التسهيلات والمساعدات في الاراضي المصرية. وهي أضيق لأن التسهيلات والمساعدات في الاراضي المصرية هي أخص ما يطلب من مصر سواء في حالة الحرب أو في حالة خطر الحرب. ليست النجدة في خارج الاراضي المصرية ممتنعة أصلا وما كانت لتكون كذلك مع اعتماد التكافؤ في الحقوق والواجبات أساساً للمحالفة، ولكنها لا تكون بحسب نص المادة الا على سبيل الندرة والاستثناء. ثم انه اذا طلبت مثل تلك النجدة من مصر فهي لا تطلب على سبيل الامر والتحكم كما يكون الحال بين التابع والمتبوع وانما تطلب من حليف حر يقيس ما يطلب منه بمعيار ملابساته الخاصة من ممكنات وضرورات ويوازن أن ما يقدمه من النجدة سيترتب أسباب انتصار فيه الخير الكبير لنفسه ولحليفه.

ذلك هو روح المادة والمفهوم الذى قبلت على أساسه . فليس فتح البلاد وغزوها بالذى يوجب على مصر أى التزام قانونى بحكم المعاهدة اذ كان منافياً لميثاق نبذ الحرب ، ولاقمع الفتن بالذى تحتمل معه النجدة ، إذ كان لايوصف فى العرف الدولى بأنه حرب .

وقد رئى أن تفصل الفقرة الاخيرة من المادة الخاصة بالمدربين العسكريين لتكون مادة مستقلة لعدم اتصالها مباشرة بما سبقها (راجع مادة ٨ من المشروع ب) . كما رئى تغيير التعليل الذى بنى عليه التعهد فبدلا من أن يكون احتمال التعاون الفعال بين الجيشين أصبح استحسان الوحدة فى التدريب والاساليب . وذلك لتجنب اثارة الشبهة فى نشاط الاستعدادات الحربية كما هو مفهوم صيغة هذه الفقرة وعلى الخصوص لجعل العلة أكثر ملاءمة وتناسباً مع قدر المعلول واوضح سببية . فان التعاون وهو أمر تقضى به المعاهدة فى ظروف معينة لايصلح سببا لنتيجة مرهونة باختيار مصر كما هو الشأن فى الالتجاء الى معلمين أجانب وانما يصلح السبب اذا كان استحسانا واستصحابا .

المادة الثامنة

اقترح تعديل هذه المادة لتحديد أن المقصود بالحماية هو قناة السويس وحدها باعتبارها طريقاً أساسياً للمواصلات بين الاجزاء المختلفة للامبراطورية البريطانية وذلك لدفع زعم ألفناه من بعض المتمدين البريطانيين من ان مصر جميعها طريق أساسى للمواصلات البريطانية، وبذلك ينتفى أن يكون للقوات المرابطة فى منطقة القناة أى شأن أو أى غرض يتعلق بما عدا تلك المنطقة من جهات القطر . وتكون العبارة الاخيرة من المادة بحسب مشروع (ب) وهى الخاصة بانكار صفة الاحتلال على القوات المذكورة قد اكتسبت قوة معنى وصدق دلالة مضاعفين .

كذلك طلبت اضافة عبارة (فى الاماكن التى يتفق عليها بعد) بعد عبارة (الاراضى المصرية) لكى لايتبادر للذهن أن الجانب الشرقى من القطر أصبح خاصاً لتلك القوات وليتبين ان حدود مكان مرابطة القوات وامتداده محل اتفاق ، أجل باعتباره من الاتفاقات التفصيلية اكتفاء ببيان الموقع العام لمرابطة القوات ، وأوثر تحديد ذلك الموقع بخط الطول ، وهو يقع أبعد الى جانب الشرق من التل الكبير .

المادة التاسعة

اعترض على الفقرة الاخيرة من هذه المادة بأنها لضيق ما وسعته الفقرة الاولى ، وأنها على أى حال شرح وتفصيل لايجوز ان تكون المعاهدة محلا له ، ولذلك استقر الرأى على حذفه من هذه المادة ، ورئى ان يتبادل بين الحكومتين كتابان يكونان أكثر دلالة على ما تحتفظ الحكومة المصرية لنفسها من حرية .

المادة العاشرة

أخذ على الفقرة الاولى ان مصر ما [illegible] يعترف بأسرع ما يمكن [illegible]

متمسكين بالامتيازات لا يقبلون فيها تبديلا أو تعديلا .

أما الفقرة الاخيرة فقد تساءلنا ماذا يكون مرمى التعهد الوارد بها ، وأشرنا الى أن تضمين هذا التعهد فى المعاهدة يجعل مادة التحكيم (١٤) منصبة عليه ؟ وزدنا أنه بمقتضى التعهد وعملا به يصبح لمصر أن تضع ما تشاء من التشريعات وتطبقها على الاجانب . فاذا رأت بريطانيا فى شىء من تلك التشريعات اجحافا بالاجانب أو تنافياً مع المبادىء العامة للتشريع عند الدول ذوات الامتيازات وخالفتها مصر فى الرأى حل الخلاف بطريق التحكيم .

وهذا الوضع يشبه من بعض الوجوه ماكان قد اقترحه مشروع ماثر من اعطاء الممثل البريطانى حق المعارضة (veto) فيما يتعلق على الاجانب من التشريعات ، على انه يفضل الاقتراح القديم فى انه بدلا من أن يكون حقا فرديا للممثل البريطانى يصبح الخلاف بين الدولتين محل تحكيم على يد هيئة دولية .

وقد أبدينا اننا لانرى مانعاً من قبول هذه الصورة الجديدة فى ضمان حقوق الاجانب ، لاسيما أننا لانرى فرقا بينها وبين الضمانات التى وردت فى مشروع الاتفاق الدولى الذى وضعته عصبة الامم والذى رسم القواعد العامة لمعاملة الاجانب وجعل التحكيم طريق حل الخلافات بين الدول فى تنفيذ تلك القواعد .

ويكاد يكون الفرق الوحيد بين حكم الفقرة الاخيرة من المادة العاشرة من مشروع المعاهدة وبين مشروع الاتفاق الدولى المتقدم ذكره ، أن طلب التحكيم فى الحالة الاولى خاص بانجلترا وفى الحالة الثانية مشاع بين جميع الدول الموقعة على الاتفاق . على ان هذا الفرق أيضاً لا يلبث أن يزول يوم توقع مصر ذلك الاتفاق فيصبح حق طلب التحكيم عاما بعد أن كان خاصاً فتصبح حال مصر حالة الدول الاخرى ، ويحل محل الامتيازات نظام تحكيم فيه الأمان الكافى لمصالح الاجانب ومرافقهم .

على هذا الوجه من تأويل الفقرة الأخيرة من المادة العاشرة لايكون ثمة محل لترك سلطة للمحاكم المختلطة فى التصديق على أى تشريع مالى أو غيره ، كما جاءت الاشارة الى ذلك فى مشروع الكتابين اللذين يتبادلان بشأن الامتيازات بحسب مشروع (أ) . اذ لايجوز الجمع بين تعهد يحميه التحكيم أمام هيئة دولية وبين تصديق تتولاه المحاكم المختلطة باعتبارها ممثلة للدول ، فان أحد الاثنين يجب أن يغنى عن الآخر .

فحيث يكون تصديق لايجوز أن يصبح التشريع المصدق عليه محل أحتكام بعد ذلك . وحيث يجوز الاحتكام الى هيئة دولية لا يكون محل لان تتداخل المحاكم المختلطة فى الامر .

على انه بعد بسط الامر على هذا الوجه لم تستطع الحكومة البريطانية أن ترى الظرف الحاضر ملائما لترك الطريقة المتبعة من تصديق المحاكم المختلطة على التشريعات ، ولذلك لم تجد بدا من اسقاط الاشارة الى التعهد فى صلب المعاهدة ونقل عباراته الى الكتب التى تتبادل بشأن الامتيازات ، لاعلى أنها بيان تعهد من جانب مصر وانما على انها تحديدا لمهمة المحاكم المختلطة التى تتسع من جانب لتشمل التشريعات المالية وتضيق من جانب آخر فتكون مجرد استيثاق من أن التشريع المالى لايتضمن تمييزاً غير عادل ضد الاجانب ومن أن التشريعات الاخرى لاتتنافى مع (المبادىء المأخوذ بها عموماً فى التشريعات الحديثة من حيث انطباقها على الاجانب) (وهى المبادىء التى يقوم عليها مشروع الاتفاق الدولى الذى سبقت الاشارة اليه) . وقد اقترحت هذه الصيغة بدلا من صيغة «مبادىء التشريع العام لجميع الدول ذوات الامتيازات» اذ لم يكن لهذه الصيغة الاخيرة معنى ظاهر أو محدد . وعلى ذلك لايكون للمحاكم المختلطة تداخل — كما تحاول الآن فى بعض الظروف — فى موضوع التشريع ومناسبته . وتصبح الحكومة ، وهى وحدها المسئولة عن حكم البلاد ، حرة فى تكييف نظمها التشريعية والمالية على الوجه الذى تراه أجدر بالمسئوليات التى تضطلع بها .

المادة الحادية عشرة

أخذ على هذه المادة انها تشير الى علاقات خاصة بين الطرفين وأنها لذلك قد تثير الشبهة فى أن مقصود الاشارة علاقة من نوع الحماية ، مع ان الحكم الوارد فيها لا يتعلق الا بأمر من أمور المجاملة والكرامة بين حليفين ترتب على المحالفة نفسها وعلى الصداقة بين البلدين ، لذلك وجب ان تصدر المادة بنفس العلة التى صدرت بها المادة التاسعة من هذا المشروع .

ثم ان ايجاب تقديم السفير البريطانى على غيره من ممثلى الدول الاجنبية اذا كان هذا التقديم لايتفق مع قواعد البروتوكول المتواضع عليها لايمكن ان يقبل من هؤلاء الممثلين ، على خلاف القواعد التى رتبها مؤتمر فيينا لأسبقية الممثلين ، الاعلى تقدير ان مصر فى مركز يختلف عن مركز البلاد المستقلة التى تنفذ فيها القواعد المتقدم ذكرها بلابحث أو تعديل . وهو مالا تريده مصر أو ترضاه . على ان مصر لاتكره أن يكون لممثل حليفتها العظيمة أكبر قسط من الكرامة والتقدم وهى لذلك لاترى بأسا من ان تخصه بأكبر مرتبة دبلوماسية . ومظهر ذلك الاختصاص انها لاتقبل من الدول الاخرى أن يمثلها سفير على ان تقبل مرتبة السفير لممثل حليفتها . ذلك ان مراتب الممثلين أمر يتفق عليه بين الدولة التى ترسلهم والدولة التى يرسلون اليها ولأيهما تمام الحرية فى أن تكتفى بوزراء مفوضين لتمثيل الدول الاجنبية عندها . بهذا يصبح الحكم خاليا من كل شذوذ أو استثناء ومجرد أثر لمجاملة حليف وحفاوته بحليفه ، ويكون للممثل البريطانى حق التقدم على غيره من ممثلى الدول وفقا لقواعد البروتوكول المعمول بها لاخروجا عليها . ولمصر فى هذا الصدد اسوة حسنة بسويسرا .

كذلك أخذ على هذه المادة أنها لاتقرر التكافؤ بين البلدين فى أمر التمثيل فى حين ان هذا الشأن أظهر مايجب ان يكون فيه التكافؤ . وعملا بالحكم المتقدم ذكره يكون لمصر لدى بلاط سانت جيمس سفير (وهو الاخير يتقدم على ممثلى الدول الذين يكونون من درجة وزير مفوض) .

المادة الثانية عشرة

أنكرنا ان تضمن هذه المادة التى تقرر التسوية الوقتية لمسألة السودان أى وضع جديد أو محدث لمركز الطرفين ، وذلك اكتفاء بحكم اتفاقات سنة ١٨٩٩ التى استقر الرأى على العودة اليها . فوجب لذلك ان تحذف كلمة (condominium) كذلك رئى ان تصدر المادة باحتفاظ مصر بحقها فى المفاوضة بشأن السودان تنويها باهمية ذلك الحق . واتفق فضلا عن ذلك على أن العودة للعمل باحكام اتفاقات سنة ١٨٩٩ يترتب عليه عودة الجيش المصرى الى السودان كما يترتب عليه أن يظل الحاكم العام متوليا للسلطات التى فوضتها له الدولتان بالاتفاقات المتقدم ذكرها .

ولما كانت هذه السلطات لاتشمل الا التشريع للبلاد واجراء الحكم فيها ، فقد أثيرت مسألة تمثيل السودان فى المؤتمرات المختلفة والضمه الى المعاهدات ، اذ كانت هذه السلطة لاتدخل فى نطاق السلطات التى خولتها اتفاقات سنة ١٨٩٩ للحاكم العام . وبعد مناقشات طويلة انتهى الرأى الى ماتضمنه الكتابان المتبادلان فى هذا الشأن . وهو مظهر جديد واضح لمركز الحكومة المصرية فى السودان كان يوشك أن يعفى عليه العرف الذى جرى فى السنين الاخيرة .

واستطرق البحث الى التشريعات والاجراءات التى جعلت المصريين فى حكم الاغراب عن السودان والى ماتضمنته تلك التدابير المختلفة من وجوه التضييق ، حتى ظن المصريون الظنون بمرامى الحكومة الانجليزية فى السودان . وتم التفاهم على أن العودة لاتفاقات سنة ١٨٩٩ ومراعاة الدقة فى تنفيذها كفيل بان يرد الامر الى نصابه الطبيعى وهو بلاشك كذلك ، خصوصا اذا ذكر أن ادماج الاشارة الى اتفاقات سنة ١٨٩٩ فى صلب المعاهدة التى تضمن أحكامها التحكيم يجعل لاحكام تلك الاتفاقات [illegible]

وأخيراً أثيرت مسألة ديون مصر على السودان واتفق فيها على مبدأ التسوية وعلى مقدماتها من البحث والاستقصاء .

المادة الخامسة عشر

أخذت على هذه المادة ما أخذ من حيث الصياغة القانونية كما أخذ عليها أن تفتح الطريق لأن تطلب بريطانيا العظمى تعديل أحكام المعاهدة لصالحها دون مصلحة مصر ، مع ان ذلك الاحتمال يجب ان يكون منعدماً ولذلك وجب ان تعدل لينتفى مثل ذلك الاحتمال .

المذكرات

١ — مذكرة الجيش

اقترح تعديل (٢) من الفقرة الثانية ليتبين أن ايفاد بعثة بريطانية جاء تطوعا واختيارا من الجانب المصرى وان الملحوظ به اعتبارات تدريب وقتية . ولذلك طلب أن تحذف عبارة وبتحركه ما لتماثل التدريب وتشابه الاساليب من الأهمية العظمى فى الطوارىء » اذ كان هذا التعليل يخرج البعثة من أن يكون سبب ايفادها اختياريا وقتيا ، وطلب أن يبنى ايفاد البعثة على حكم المادة ٨ من المشروع (ب) لينتفى كل شك فى حقيقة مركزها .

كذلك اقترح تعديل النص الخاص بمنع الطيران فى منطقة القناة لجعله غير منطبق على الهيئات المصرية التى تقوم بخدمات الطيران .

٢ — مذكرة المستشارين

اتفق على تعديل صيغة الجملة الاخيرة من المذكرة لكى لا يسبق الى البال أخذ أن هذين التعيين دائمان ولكى يتبين فى جلاء أن الاختيار بيد الحكومة المصرية أصلا .

٣ — مذكرة البوليس

اتفق على تعديل صيغتها حتى لايقع فى الخاطر أن مدة الخمس السنين هى مدة قيادة الضباط البريطانيين وحدها ، وليتبين انها مدة وجود العنصر الاجنبى بقيادة الضباط البريطانيين فينتهى الاثنان بانتهائها . والواقع أن هذه الفترة كانت فى نظرنا فترة انتقال لاحلال العنصر المصرى محل العنصر الاجنبى جميعه .

٤ — مذكرة الامتيازات

فيما عدا بعض تعديلات تتعلق بصياغة هذه المذكرة ، كانت الفقرات الخاصة بمحاكمة المصريين المتهمين بارتكاب جرائم سياسية ضد الاجانب امام المحاكم المختلطة وبالعفو عن الاجانب وبالتشريعات المنطبقة على هؤلاء وباختصاصات المستشار القضائى فى شؤون الاجانب اطلاقا محل مناقشة وبحث طويلين .

ولقد طلب حذف الفقرة الخاصة بمحاكمة المصريين امام المحاكم المختلطة ليظل الاختصاص للمحاكم الاهلية ، وان لم يمكن حذف الفقرة الخاصة بالعفو فتعديلها ، ليكون حكمها متفقاً مع قواعد المسئولية الوزارية . فيصبح وزير الحقانية هو وحده الذى يعرض لجلالة الملك من شؤون العفو وتخفيف العقوبات ، ويقتصر شأن المستشار القضائى على ابداء مشورته . وخصوصا جاء ذكر المستشار القضائى فى شأن من الشؤون كما فى هذه الفقرة وفى الفقرة الاخيرة من المذكرة [illegible] توجيه حل الى توقيت مهمته [illegible]

أما الفقرة الخاصة بالتشريع فقد طلب تعديلها على الوجه الذى سبق شرحه فى الكلام عن المادة العاشرة من المشروع .

وأخيراً طلب حذف الاشارة الى ذلك الاختصاص العام المبهم الذى جعل المستشار القضائى فى شؤون الاجانب عموما من كانوا من أصحاب الامتيازات أو لم يكونوا فتصبح مهمته محصورة فى الامور التى سبق ذكرها .

وقد جاء الجواب على هذه المذكرة محدداً لما تم الاتفاق عليه فى تعريف لفظ « اجنبى » للفصل بين اختصاص المحاكم الاهلية والمحاكم المختلطة فى شؤون الاجانب ، فلا يكون الاخيرة ، خلافا لما ذهبت اليه فى الحكم الخاص بالاتراك والسوريين ، اختصاص بغير الاجانب الذين يتمتعون حالا بالامتيازات أو الذين كانوا يتمتعون بها قبل سنة ١٩١٤ ، وذلك سواء فى الاقضية المدنية أو الجنائية .

٥ — المذكرات الجديدة

وقد رئى أن تضاف الى المذكرات السابقة مذكرات جديدة فى شؤون الموظفين الاجانب ، تأويلا لحكم المادة التاسعة من المشروع ، والاقليات ، اعلاناً بأنهما تخص الحكومة المصرية وحدها ، والسودان ، لاثبات الاتفاق الخاص بتسوية ديون مصر عليه ، ولتحديد الاجراءات التى تتبع لجعل بعض المعاهدات ذات الصبغة الانسانية العامة منطبقة على السودان .

***

ليس ماتقدم الا عرضا موجزاً لما تداولته المناقشات أريد به أن ينقل صورة وافية نوعا لدورى المحادثات :

الدور الاول الذى جرى الكلام فيه على الاسس الكلية للمعاهدة وعلى التطبيقات المهمة لهذه الاسس وهو الذى أثمر المشروع (أ)

والدور الثانى الذى قامت المناقشات والابحاث فيه على المشروع (أ) فأثمر المشروع (ب)

ولقد اخرج هذان المشروعان فى وقت قصير اذا قرن الى الوقت الذى قطعه اخراج المشروعات السابقة . ولا شك فى ان جعل مشروع سنة ١٩٢٧ أساسا للاحاديث والرغبة الصادقة من الجانبين فى التفاهم وتقريب مسافات الخلف ، واعتبارات سياسية مختلفة ، كانت تحفزنا جميعا الى الغاء فترات الراحة وتحميل الوقت أقصى مايحتمل من العمل ، لاشك فى ان كل أولئك كان له أكبر الفضل فى الوصول الى نتيجة مرضية فى ذلك الوقت القصير . وقد لاينبغى أن أنوه بما اقتضته تلك النتيجة من الجهد والجلد وطول الأناة ولطف المعالجة وطويل المناقشات ومشاقها من الجانبين . ولكن يخطىء كل الخطأ من يحكم على قيمة العمل الذى تم بالزمن الذى استغرقه .

كان مشروع (ب) اذن خلاصة تلك الاحاديث . ومالى أن أخدع نفسى أو أخدع أحداً فأقول انه غاية ما يتمنى المصرى لبلده ، فانه لعزيز على أن أقف بأمانى بلادى عند هذا الحد مهما بعد ، ولكنى أخذت نفسى بأن أذهب فى كل مسألة الى أقصى ما أستطيع الوصول اليه ، [illegible] تارة منفردة وطورا مجتمعة متفاعلة

الاخيرة ، اذ وازنت بين ما نرجوه أو نتوقعه من المستقبل فى حالى قبول المشروع أو التردد فيه ، ترجح جانب القبول على جانب التردد رجحاناً مبينا . اذ كان القبول فوق ما ينيلنا اياه من غايات طال انتظارنا لها وساء حالنا بامتناعها علينا ، سيفتح لنا آفاقا جديدة فى العمل يصبح معها كل أمل مشروعا وكل نتيجة متصورة ميسورة .

لم أتردد إذن فى اعلان قبولى فى ١٤ يوليو سنة ١٩٢٩ ودللت عليه بالتوقيع بالحروف الاولى من اسمى على نسخة من المشروع (ب) أودعت وزارة الخارجية البريطانية .

اشتغل بعد ذلك مجلس الوزراء البريطانى بالنظر فى ثمرة المحادثات التى قامت بينى وبين وزارة الخارجية والتى نصلت أمرها فيما تقوم ، وبعد بحث طويل أقرها مبدئياً وعهد الى لجنة مؤلفة من ثلاثة وزراء بأن يتصلوا بالخبراء ، عسكريين وغير عسكريين ، ليستطلعوا رأيهم فى المشروع ، وقد كان هذا الدور دقيقاً اذ كان المفهوم والمعروف ان لهؤلاء الخبراء تشدداً وصلابة فى آراء معينة ليست مما ينشرح لها صدر مصر . على ان المشروع كان قد تم نضجه وصدقت رغبة الجانب البريطانى فى نجاحه فاجتاز هذا الدور يصحبه التوفيق . وقد عرضت فى هذا الدور بعض المخاوف مما سوف يلقاه الجندى البريطانى من العنت والشدة فى القفار النائية عن أسباب العمران والحضارة التى سترابط فيها القوات البريطانية أو مما سوف يخشى من امتناع ماء الشرب أو فساده ، فتقدمت بالتأكيد باننا سنعمل جهدنا على تلطيف ذلك العنت وللاحتياط لضمان توافر ماء الشرب وسلامته ، واننا نرى فى ذلك واجبا لانتردد فى القيام به . ثم ان ما سنصنعه فى هذا السبيل سيعود أثره أيضا على ماندد يمكن أن يكون مرابطاً من القوات المصرية فى تلك النواحى .

انتقل المشروع بعد الموافقة على اضافة حكم بالمعنى المتقدم وعلى تعديلات طفيفة أخرى الى مجلس الوزراء ليعيد النظر فيه بعد الاطلاع على تقرير اللجنة الوزارية . وثم ثارت مناقشة بشأن عودة الجيش المصرى الى السودان ، وانتهى رأى الوزارة فى موقف لم يخل من الدقة الى ما كتب لى به بعد ذلك وزير الخارجية البريطانية من أن عودة الجيش ستكون محل نظر وتفاهم عند سحب القوات البريطانية من القاهرة وبشرط أن يكون تنفيذ المعاهدة حاصلا بالروح التى باشرنا بها المفاوضة .

تلا هذه الاجراءات نشر مشروع المعاهدة . وقد كان من مقتضيات النشر عدم ايراد الديباجة عما يتصل بها من الصيغ التى تستعمل فى تحرير المعاهدات ، ولذلك اطلق على المشروع اسم مقترحات ، وهى ملحقة بهذا البيان باسم مشروع (ج) . وبمناسبة النشر وجهت الى الامة المصرية نداء ادعوها فيه الى طرح المنازعات الحزبية وفحص المشروع على هدى الوطنية المستنيرة . كما أنى بمناسبة عودتى من الخارج ألقيت خطابا أفصل فيه مافى المشروع من مزايا تحسن لكل مصرى قبوله والاغتباط به خطوة موفقة فى سير مصر الى الامام .

تحريرا فى ٢٠ سبتمبر سنة ١٩٢٩

مشروع (١)

ان صاحب الجلالة ملك مصر

وصاحب الجلالة ملك بريطانيا العظمى وارلندا والاملاك البريطانية وراء البحار وامبراطور الهند .

حرصاً على توثيق عرى الصداقة وحرصاً على دوام حسن التفاهم بين بلديهما وعلى التعاون فيما بينهما طبقاً لواجباتهما الدولية فى حفظ سلام العالم

وبما انه ينبغى لتحقيق هذه الغاية أن يتفق البلدان على حل المسائل الاربع المعلقة التى كانت موضوع احتفاظ حكومة حضرة صاحب الجلالة البريطانية فى تصريح ٢٨ فبراير سنة ٩٢٢ ورغبة فى تصفية الحالة التى نشأت عن الانذار الذى وجه الى الحكومة المصرية فى ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٢٤ فيما لم تتناوله الكتب الخاصة بمياه النيل المتبادلة فى ٧ مايو سنة ٩٢٩

ونظراً لان خير وسيلة لذلك هى عقد معاهدة صداقة وتحالف تيسر لخير الاثنين ولمصلحتهما معاً التعاون الفعلى فى القيام بواجبهما المشترك فى حفظ السلام وفى ضمان سلامة أراضى بلديهما واستقلالها :

قد اتفقا على عقد معاهدة لهذا الغرض وعينا المفوضين عنهما فى ذلك :

صاحب الجلالة ملك بريطانيا العظمى وار[لندا] والاملاك البريطانية وراء البحار وامبراطور [الهند] — عن بريطانيا العظمى وشمال ارلندا

وصاحب الجلالة ملك مصر :

وبعد ان تبادلوا أوراق التفويض التام وتثبتوا من صحتها اتفقوا على مايأتى :

مادة ١ — ان المسائل المعلقة بين الطرفين المتعاقدين ولا سيما ما كان منها ناشئا عن تصريح ٢٨ فبراير ٩٢٢ وانذار ٢٢ نوفمبر ٩٢٤ قد نحلت بموجب نصوص هذه المعاهدة

مادة ٢ — جعلت العلاقات بين الطرفين المتعاقدين قائمة على أساس محالفة أبرمت تثبيتاً لصداقتهما وتفاهمهما الودى وعلاقاتهما الحسنة ، وقد [انتهى] احتلال مصر العسكرى بواسطة قوات حضرة صاحب الجلالة البريطانية الذى كان قائماً حتى الآن .

مادة ٣ — يبذل صاحب الجلالة البريطانية نفوذه لقبول مصر فى جمعية الامم ويؤيد الطلب الذى ستقدمه مصر لهذه الغاية . وتصرح مصر من جهتها باستعدادها لقبول الشروط المفروضة للدخول فى الجمعية .

مادة ٤ — اذا قامت مع دولة ثالثة أى مسألة قد تؤدى ، فى حالة عدم حلها ، الى تنفيذ أحكام المادة السابعة يتبادل الطرفان المتعاقدان الرأى لحل تلك المسألة بالوسائل السلمية طبقاً لاحكام ميثاق جمعية الامم أو لأى تعهدات دولية أخرى تكون منطبقة على الحالة القائمة .

مادة ٥ — يتعهد كل من الطرفين المتعاقدين بان لا يتخذ فى البلاد الاجنبية موقفا يتنافى مع المحالفة أو يحدث صعوبات للطرف الاخر . وعملا بهذا التعهد لايعارض أى الطرفين سياسة الاخر فى البلاد الاجنبية أو يبرم مع دولة أخرى أى اتفاق يكون مضراً بمصالح الطرف الاخر .

مادة ٦ — يعترف الطرفان المتعاقدان بان

في مصر تقع منذ الان على عاتق الحكومة المصرية . ويتخذ صاحب الجلالة ملك مصر كل التدابير والوسائل اللازمة لضمان تنفيذ واجباته في هذا الصدد .

مادة ٧ — اذا اشتبك أحد الطرفين المتعاقدين في حرب بالرغم من أحكام المادة الرابعة فان الطرف الاخر، مع مراعاة أحكام المادة ١٣، يبادر حالا لنجدته بصفة حليف . وبوجه خاص يقدم صاحب الجلالة ملك مصر لصاحب الجلالة البريطانية في حالة الحرب أو خطر الحرب ، كل ما في وسعه من التسهيلات والمساعدات في الاراضي المصرية ويدخل في ذلك استخدام موانئه ومطاراته وجميع طرق مواصلاته .

ونظراً الى احتمال التعاون الفعال بين الجيشين البريطاني والمصري يتعهد جلالة ملك مصر بانه اذا رأى ضرورة للاستعانة بعلمين عسكريين من الاجانب فان هؤلاء المعلمين يختارون من الرعايا البريطانيين فقط

مادة ٨ — تسهيلا وتحقيقا لقيام صاحب الجلالة البريطانية بحماية طرق مواصلات الامبراطورية البريطانية، يرخص جلالة ملك مصر لصاحب الجلالة البريطانية بأن يقيم على الاراضي المصرية شرق التل الكبير القوات التي يراها صاحب الجلالة البريطانية لازمة لهذا الغرض .

مادة ٩ — نظراً لما بين البلدين من روابط الصداقة والمحالفة التي تؤسسها هذه المعاهدة ، تجعل الحكومة المصرية القاعدة في تعيين الموظفين الاجانب تفضيل الرعايا البريطانيين ، وانما يعين رعايا الدول الاخرى اذا لم يوجد رعايا بريطانيون حائزون للمؤهلات اللازمة أو متوافرة فيهم الشروط المطلوبة .

مادة ١٠ — يعترف الطرفان المتعاقدان بان نظام الامتيازات القائم بمصر الآن أصبح لايلائم روح العصر والحالة الحاضرة لمصر

وبناء عليه يتعهد صاحب الجلالة البريطانية بان يستخدم كل ماله من نفوذ لدى الدول ذوات الامتيازات في مصر للحصول، بالشروط التي تؤمن المصالح المشروعة للاجانب ، على نقل اختصاص المحاكم القنصلية الى المحاكم المختلطة وعلى تطبيق التشريع المصري على الاجانب .

ويتعهد جلالة ملك مصر من جانبه بأن لا تسن قوانين مجحفة بالأجانب في مسألة الضرائب أو لا تتفق مع مبادىء التشريع العام لجميع الدول ذوات الامتيازات .

مادة ١١ — نظراً الى العلاقات الخاصة التي تنشئها هذه المحالفة بين الطرفين المتعاقدين يمثل صاحب الجلالة البريطانية لدى بلاط الملك فؤاد سفير معتمد حسب الاصول المرعية ويخصه صاحب الجلالة ملك مصر بالتقدم على جميع الممثلين السياسيين الاخرين .

مادة ١٢ — تستمر السيادة الانجليزية المصرية على السودان طبقاً لشروط الاتفاقات الحالية أو طبقاً لاي تعديلات لتلك يوضع في المستقبل بالاتفاق بين الطرفين المتعاقدين .

وتظل حقوق وسلطات الطرفين المتعاقدين بحسب الاتفاقات المذكورة يتولاها بالنيابة عنهما حاكم السودان العام المعين بموجب تلك الاتفاقات . مصري الى الموظفين التابعين له

مادة ١٣ — لاتخل أحكام هذه المادة بأي وجه من الوجوه بالحقوق والتعهدات التي تنشأ أو يجوز أن تنشأ لكل من الطرفين المتعاقدين أو عليه من ميثاق جمعية الأمم أو من ميثاق نبذ الحرب الموقع في باريس في ٢٧ أغسطس سنة ١٩٢٨

مادة ١٤ — اتفق الطرفان المتعاقدان على ان كل خلاف في تطبيق أحكام هذه المعاهدة أو تأويلها لا يتيسر حله بالمفاوضة بينهما مباشرة، يكون الفصل فيه طبقاً لاحكام ميثاق جمعية الامم .

مادة ١٥ — تعقد هذه المعاهدة لمدة خمس وعشرين سنة ابتداء من تاريخ تبادل التصديق عليها الذي سيجري في باسرع ما يمكن . ولكل من الطرفين المتعاقدين بعد انتهاء المدة المذكورة أن يدعو الفريق الاخر للدخول في مفاوضات بقصد ادخال أي تعديل على نصوص هذه المعاهدة تستدعيه الحالة حينئذ .

واشهاداً بما تقدم الخ ..

الجيش

المذكرة البريطانية

حضرة صاحب الدولة

في سياق مناقشاتنا في نصوص المعاهدة التي وقعناها اليوم عرضت بعض المسائل العسكرية وكان لها أوفر قسط من العناية والبحث . وتقسم هذه المسائل بطبيعتها الى قسمين : أولهما — تلك المسائل المتعلقة بالقوات المصرية التي يجوز — اذا تحققت لسوء الحظ الظروف المشار اليها في صدر المادة السابعة من المعاهدة — أن تدعى لمعاونة القوات البريطانية الحليفة معاونة فعلية . وثانيهما تلك المسائل الخاصة بالقوات البريطانية التي سترابط، عملا بالمادة الثامنة من المعاهدة، في جوار قناة السويس توفيراً لاسباب الدفاع عن ذلك الشريان الحيوي في مواصلات الامبراطورية البريطانية .

أما عن القسم الاول فقد اتفقتم دولتكم معي على ما يأتي :

١ — تنتهي الترتيبات الحالية التي بمقتضاها يباشر المفتش العام ومن معه اختصاصات معينة ويسحب الضباط البريطانيون من القوات المصرية

٢ — على أن الحكومة المصرية، مدركة ما لتماثل التدريب وتشابه الاساليب من الاهمية العظمى في الطوارئ ، ترغب في أن تعين بعثة عسكرية بريطانية لتسهيل هذه النتيجة . وتتعهد حكومة صاحب الجلالة البريطانية في المملكة المتحدة أن توافي مصر بتلك البعثة . وترسل الحكومة المصرية من يراد تدريبهم من رجال القوات المصرية الى بريطانيا العظمى وتعهدها ، وتتعهد حكومة صاحب الجلالة البريطانية من جانبها بان تقبل كل من توفدهم الحكومة المصرية الى بريطانيا العظمى لهذا الغرض .

٣ — اصلحة التعاون الوثيق المشار اليه آنفا لاتختلف طراز أسلحة القوات المصرية ومهماتها عن طراز أسلحة القوات البريطانية ومهماتها . وتتعهد حكومة صاحب الجلالة البريطانية بان تبذل وساطتها لتسهيل ...

أما فيما يتعلق بالقوات البريطانية المشار اليها في المادة الثامنة من المعاهدة فقد اتفقنا على ما يأتي :

١ — تقدم الحكومة المصرية مجانا لحكومة صاحب الجلالة البريطانية في الاماكن التي يتفق عليها بعد اراضي ومباني تعادل الاراضي والمباني التي تشغلها الآن القوات البريطانية بمصر . وبمجرد اتمام هذه المباني الجديدة تنتقل اليها تلك القوات وتسلم الاراضي والثكنات الخ . التي أخلتها للحكومة المصرية .

٢ — تستمر المزايا والامتيازات التي تتمتع بها الان القوات البريطانية في مصر .

٣ — الى ان تتفق الحكومتان على غير ذلك تحظر الحكومة المصرية الطيران فوق الاراضي الواقعة على جانبي قناة السويس وعلى مسافة عشرين كيلومترا منها . على ان هذا الحظر لايسري على قوات الحكومتين ولا على خدمات الطيران القائمة بموجب الاتفاقات الحالية .

٤ — تقدم الحكومة المصرية عند الطلب جميع التسهيلات اللازمة لمرور طيارات القوات البريطانية الجوية في ذهابها الى المطارات الموضوعة تحت اشراف القوات البريطانية طبقا للمادة الثامنة من هذه المعاهدة أو في سفرها منها . وتبذل مثل هذه التسهيلات عند الطلب للطيارات المصرية العسكرية في الاراضي البريطانية والمطارات التي تحت اشرافها .

المذكرة المصرية

بالموافقة على ماتقدم

المستشاران

المذكرة المصرية

حضرة صاحب السعادة

تعلمون أن الحكومة المصرية أخذت على نفسها أن تحقق برنامجا من الاصلاحات الداخلية واسع المدى . وإني لأقدر أن المهمة التي أخذت نفسها بها ستكون أشق وأبعد مدى بسبب التعديلات الجوهرية في نظام الامتيازات المحوطة في المعاهدة التي وقعناها اليوم . وعندي أنه لتنفيذ ذلك البرنامج من الاصلاحات على وجه مرض ستحتاج الحكومة الى أفضل ما يمكن الحصول عليه من المشورة . لذلك أنتهز هذه الفرصة لأحيطكم علما بأن الحكومة المصرية تنوي أن تستبقي في خدمتها في الفترة اللازمة لتنفيذ الاصلاحات المشار اليها اثنين من الرعايا البريطانيين في وظيفة مستشار مالي ومستشار قضائي . وسيختار من يشغلان هذين المنصبين في المستقبل باتفاق الحكومتين البريطانية والمصرية وتعينهم الحكومة المصرية كموظفين مصريين .

المذكرة البريطانية

ابلاغ بتلقي ما تقدم

البوليس

المذكرة المصرية

حضرة صاحب السعادة

أنتهز هذه الفرصة لأحيطكم علما بأن الحكومة المصرية تنوي انشاء الادارة الاوربية بادارة الامن العام . الا أنها، عملا بالتعهد الذي تتضمنه المادة السادسة من ... تحت قيادة ضباط بريطانيين لمدة خمس سنين على الاقل من العمل بالمعاهدة .

فاذا رغبت الحكومة المصرية في اعادة تنظيم قوة البوليس أو في رفع مستوى كفايته، فاود أن أعلم هل يمكنها الاعتماد على مساعدة حكومة صاحب الجلالة البريطانية في هذه المهمة.

المذكرة البريطانية

حضرة صاحب الدولة

ان حكومة صاحب الجلالة البريطانية في المملكة المتحدة تثبت مع الارتياح انه، عملا بالتعهد الذي تتضمنه المادة السادسة من المعاهدة ستستبقي الحكومة المصرية بعد الغاء الادارة الاوربية بادارة الامن العام عنصراً اوروبيا في بوليس المدن يظل تحت قيادة ضباط بريطانيين لمدة خمس سنين على الاقل من العمل بالمعاهدة .

فاذا شاءت الحكومة المصرية في المستقبل أن تعيد تنظيم بوليسها أو أن ترفع مستوى كفايته فحكومة صاحب الجلالة البريطانية تكون سعيدة بأن تعيرها خدمة أفراد خبراء أو بعثة بوليسية كما فعلت ذلك مع بلاد أخرى كانت راغبة مثلها في تنظيم قوات بوليسها .

الامتيازات

المذكرة البريطانية

حضرة صاحب الدولة

جاء في المادة العاشرة من مشروع المعاهدة التي وقعناها اليوم ما يأتي :

يعترف الطرفان المتعاقدان بان نظام الامتيازات القائم بمصر الان أصبح لايلائم روح العصر والحالة الحاضرة لمصر

وبناء عليه يتعهد صاحب الجلالة البريطانية بأن يستخدم كل ماله من نفوذ لدى الدول ذوات الامتيازات في مصر للحصول، بالشروط التي تؤمن المصالح المشروعة للاجانب ، على نقل اختصاص المحاكم القنصلية الى المحاكم المختلطة وعلى تطبيق التشريع المصري على الاجانب .

ويتعهد جلالة ملك مصر من جانبه بأن لاتسن قوانين مجحفة بالاجانب في مسألة الضرائب أو لاتتفق مع مبادىء التشريع العام لجميع الدول ذوات الامتيازات .

وقد يكون من المفيد أن أبين لدولتكم القواعد الكلية التي يمكن، بحسب ما أراه ، أن يترسمها هذا الاصلاح، وذلك لاني مستعد لتأييد جهود الحكومة المصرية في اجراء تسويات مع الدول على أساس هذه القواعد حين تصبح المعاهدة نافذة .

وقد كان المرجو في سنة ١٩٢٠، وقتما كانت المفاوضات دائرة بين الحكومتين البريطانية والمصرية، اجراء تسويات تحمل الدول الاجنبية على الغاء المحاكم القنصلية في مصر . لذلك وضعت في السنة المذكورة مشروعات قوانين بتوسيع اختصاص المحاكم المختلطة لتتمكن من أداء القضاء الذي تقوم به المحاكم القنصلية الان .

واني لمستعد أن أقبل اتخاذ هذه المشروعات أساسا الاصلاح في نظام الامتيازات اذا وافقت الدول الاجنبية على الغاء محاكمها القنصلية ... المحاكم المختلطة ...

التوازن الاوربي

على زوال الاتفاق الودي بين انجلترا وفرنسا

تبدل السياسة الدولية

ظل مبدأ التوازن الدولي هو أساس السياسة التي جرت عليها الدول في القرن التاسع عشر . وقد قسمت الدول بموجبه طوائف طوائف لكل منها موقف معلوم في السياسة العالمية . ويظن الكثيرون ان ذلك المبدأ أضر باوربا أكثر مما أفادها لانه كان من أقوى الاسباب التي حملت الدول على التسلح بحيث وقفت كل منها موقف الجندي المتحفز للقتال . وكانت بريطانيا العظمى ترمي دائماً الى تأييد مبدأ التوازن مع وقوفها في أكثر الاحيان موقف الحياد ومراقبتها شؤون العالم عن بعد لئلا تقوى طائفة من الدول على حساب غيرها . وفي أوائل القرن الحاضر خرجت انجلترا من عزلتها وعقدت مع فرنسا اتفاقها الودي المشهور . وكان الفضل في عقده للملك ادورد السابع الذي كان يشعر بميل حقيقي الى الشعب الفرنسوي حتى انه كان يقضي معظم أوقات فراغه في أيام حداثته في ملاهي باريس .

وظل ذلك الاتفاق قائماً ربع قرن كامل فكان منه أكبر دعامة للمحالفة التي قامت بين فرنسا وانجلترا في زمن الحرب العظمى الماضية . واستمر الاتفاق أيضاً طول المدة التي عقبت الحرب الى أن جاءت حكومة العمال في انجلترا وعقد مؤتمر الهاي الاخير . فوقع بين الانجليز والفرنسويين شيء من المشادة بسبب مسلك المستر سنودن وتصلبه في الرأي ، فكانت العبارات التي فاه بها في ذلك المؤتمر أول معول بدأ يهدم بناء الاتفاق الودي

ويخيل لمن يطالع الصحف الفرنسوية ويقرأ ما تكتبه عن حكومة العمال الانجليزية أن الاتفاق الودي قد أصبح في خبر كان مع أن الصحف الانجليزية تحاول أن تهدىء روع الفرنسويين وتفهمهم أن الاتفاق باق لا تؤثر فيه عواصف السياسة الهوجاء .

وقد نشرت جريدة « الافنير » الباريسية مقالة ألحت فيها باللائمة على السياسة البريطانية المتقلبة وأسفت لاسترخاء حبل الاتفاق الودي مع عدم توثق العلاقات السياسية بين فرنسا وألمانيا . وقالت ان فرنسا تجد الآن نفسها في موقف عزلة فلا هي تستطيع الاعتماد على الاتفاق الودي ولا هي تستطيع الاطمئنان الى السياسة الالمانية . وفي الواقع أن موقف فرنسا وانجلترا اليوم يشبه موقفهما في أيام حادثة فاشودة المشهورة تماما . وبناء عليه فان مشروع الولايات المتحدة الاوربية لا يمكن تحقيقه مادامت العلاقات بين فرنسا وانجلترا من جهة وبين فرنسا والمانيا من جهة أخرى مسترخية غير متينة . وما دام مشروع الولايات المتحدة الاوربية متعذراً فان سلام أوربا بل سلام العالم كله متعذر .

وسبب هذه المصيبة — على ما تقول جريدة « الافنير » — هو السياسة الخرقاء التي جرت ولا تزال تجري عليها حكومة العمال في انجلترا والتي هي محفوفة بأخطار كبيرة . والظاهر ان المستر سنودن خيل اليه أن هيبة بريطانيا العظمى قد بدأت تضعف في الخارج فرأى أن يقوم بعمل يرد به تلك الهيبة . ووقفت وراءه الامة الانجليزية بأسرها بقطع النظر عن احزابها ونزعاتها . وفي الواقع أن المهمة التي أبداها ذلك الوزير كانت موضع اعجاب الكثيرين حتى ان جريدة (فورفرنس) — وهي لسان حال الحزب الاشتراكي الالماني — عقدت فصلا أعربت به عن مزيد اعجابها بصلابة المستر سنودن وبوقفته التي انحنى أمامها جميع المندوبين في مؤتمر الهاي والتي أحرجت موقف المسيو بريان احراجاً تاماً .

وكتبت جريدة (آمي ديبوبل) — صديق الشعب — الباريسية مقالة أعربت بها عن اعجابها بالشعب البريطاني وعما تكنه له الامة الفرنسوية من الود الخالص، ولكنها أسفت لأن مقاليد الحكم في انجلترا قد آلت الى (عصابة) قد تمكنت من استهواء الامة كما تمكنت (العصابة) في فرنسا من استهواء الشعب الفرنسوي . وفي الواقع ان العمال في انجلترا يتمتعون اليوم بتأييد المحافظين . ومنذ اليوم الذي شعروا فيه باستقواء مركزهم أخذوا يعملون المعاول في بناء الاتفاق الودي . على ان الشعب الانجليزي بوجه الاجمال لم ينس حتى الآن فظائع الحرب العظمى الماضية وما ارتكبه فيها الالمان مما لا يزال عالقاً بالاذهان . وهو لا رغبة له في ان تتكرر تلك الايام السوداء . وتكرارها أمر محتوم اذ ضمنت المانيا أن الاتفاق الودي بين فرنسا وانجلترا قد أصبح في خبر كان .

وبعبارة أخرى ان الشعب الانجليزي يعلم حق العلم أن صداقة فرنسا هو قوة لا يستهان بها . ولذلك لا يرى من مصلحته أن يفرط بتلك الصداقة أو يستبدلها بعامل آخر .

ونشرت جريدة « الدبيا » — وهي من أشهر الصحف الفرنسوية — مقالة أشارت بها الى حالة الاتفاق الودي بعد موقف المستر سنودن في مؤتمر الهاي ؛ ثم أشارت الى خطبة المستر هندرسون (وزير الخارجية البريطانية) في ذلك المؤتمر وقوله : « ان العلاقات بين انجلترا وفرنسا يجب أن تكون موسومة بسمة الثقة والصراحة والود » . وقالت « الدبيا » : ان المستر هندرسون أراد ان يزيل الاثر السيىء الذي أحدثه موقف المستر سنودن في ذلك المؤتمر . وهو أمر يشكر عليه ولكن لا يخرج عن كونه سعياً شخصياً لازالة ذلك التأثير ولم يكن للحكومة البريطانية علاقة رسمية به ، ولذلك لا قيمة سياسية له . وأضافت « الدبيا » الى ذلك ما يأتي :

« أنه مع جميع التصريحات التي ألقاها المستر هندرسون يجب حسبان الاتفاق الودي بين انجلترا وفرنسا في حكم الزائل . على أننا نرجو أن يعود فيتجدد مرة أخرى في المستقبل العاجل . ونحن نعتقد أن مجرد الاصرار على القول بان ذلك الاتفاق لا يزال باقيا ليس في مساعدة أحد على الاطلاق . ومن سوء الحظ ان حكومة العمال في انجلترا تعتقد أن ترسيخ دعائم السلام يقضي بتقويض دعائم الاتفاقات والمعاهدات القائمة »

هذه خلاصة آراء الصحف الفرنسوية في هذا الشأن . ويحسن بنا ان نورد الان خلاصة مقال لجريدة « نيو ستيتسمان » — وهي من أشهر الصحف الانجليزية — في هذا الموضوع قالت ما خلاصته :

اذا كان المقصود بالاتفاق الودي اتفاقا يجب ان يحول دون عقد أي اتفاق آخر بين انجلترا وغيرها فالاتفاق الودي يجب ان يزول . واذا كان لا يحول دون عقد أي اتفاق آخر بين انجلترا وغيرها — أي دون تمتع انجلترا بكامل حريتها — فيجب ان يدوم . ولا يخفى ان اختلاف الآراء بين الدول أمر كثير الشيوع . فاذا فرضنا وقوع مثل ذلك الاختلاف بين انجلترا وفرنسا فان الحال لا تخرج عن أحد أمرين : فاما ان تصر كل من الدولتين على وجهة نظرها . وفي هذه الحالة تعتقد كل منهما ان صديقتها قد وقفت موقف عناد لا مبرر له ، وعرضت الاتفاق الودي للخطر . أو ان تخضع احداهما — مرغمة — لآراء صديقتها . وفي كلتا الحالتين لا يكون الموقف قائماً على الاخلاص . والامثلة على ذلك كثيرة وطالما أدت الى شيء من النفور والمشادة بين الدولتين كما حدث عندما اختلفت الدولتان على مسألة الجلاء عن الرور .

على أن تداعي أساس الاتفاق الودي يرجع الى زمن معاهدة لوكارنو . فمع ان هذه المعاهدة كانت من أعظم الاتفاقات التي عقدتها الدول بعد الحرب للمحافظة على السلام فانها قررت بالصراحة ان بريطانيا العظمى لا تحجم عن الوقوف في جانب الدولة المعتدى عليها سواء أكانت تلك الدولة هي فرنسا أم المانيا . وبعبارة أخرى — انه اذا فكرت فرنسا في مبادأة المانيا بالعدوان فان بريطانيا العظمى تضرب بالاتفاق الودي عرض الحائط وتنحاز الى المانيا في الحال .

هذا ولا حاجة الى القول ان الصحف الالمانية بأسرها تظهر في هذه الايام اغتباطها بسبب ضعف الاتفاق الودي، وهي تحسب ذلك فاتحة عهد جديد لالمانيا تستطيع أن تستعيد فيه شيئاً من القوة التي أفقدها اياها ذلك الاتفاق .

ومما يجدر بالذكر ان تاريخ بريطانيا منذ القرن الثامن عشر حتى الان قد كان عبارة عن سعي متواصل للاحتفاظ بالتوازن الدولي ليس في أوربا فقط، بل في جميع أنحاء العالم . ولذلك كانت تدخل الحرب دائما في جانب الفريق الذي يخشى ان يؤدي انكساره الى زعزعة أركان التوازن الدولي .

وقد كان المظنون أن مبدأ التوازن سيزول بعد الحرب العظمى الماضية، ولكن الحوادث قد أثبتت فساد هذا الظن . وفي الواقع أن جميع العهود والاتفاقات التي وقعتها الدول بعد الحرب كانت مظهرا من مظاهر الدفاع عن ذلك المبدأ الذي لا تزال الدول تسعى لتأييده والاحتفاظ به . ترى هل من مصلحة ذلك المبدأ أن يدوم الاتفاق الودي بين بريطانيا العظمى وفرنسا ؟

انقضاء النهار

للشاعر « لونجفلو »

تقلص النهار
وأخذ الظلام يتساقط من اجنحة الليل
كما تسقط الريشة وتحملها الريح الى أسفل
من نسر في أثناء طيرانه

* * *

أرى مصابيح القرية
تسطع من خلال الضباب والمطر
ولكني أشعر بكآبة قد تملكتني
لاتستطيع نفسي مقاومتها

* * *

اشعر بكآبة وحنين
غير أن هذا الشعور لايؤلمني
ولكنه يشبه الحزن فقط
كما أن الضباب يشابه المطر

* * *

ألا تعال واقرأ لي بعض القصيد
إقرأ لي نشيداً ساذجا من وحي القلب
لكي يسكن ثورة هذا الشعور
ويطرد عني أفكار النهار

* * *

ليس من حكمة جهابذة العلم الغابرين
ولا من نظم الشعراء المجيدين
الذين يسمع صدى خطواتهم
في أروقة الأزمنة والتاريخ

* * *

لأن آراءهم الجبارة القوية
تذكرني بجهاد الحياة المتواصل
فهي كوقع أنغام الموسيقى العسكرية
وأنا الليلة أتوق الى الراحة والسكينة

* * *

ولكن اقرأ لي من نظم شاعر صغير
شاعر يتدفق نشيده من قلبه
كوابل المزن من سحب الصيف
أو كغزير الدمع من محاجر العيون

* * *

شاعر في أيام النصب والجهاد
وفي الليالي الخالية من الراحة
لايزال يسمع في نفسه
أنغام أناشيد السرور الشجيه

* * *

مثل هذه الاناشيد
تستطيع أن تسكن ثورة الاهتمام بالحياة
لأنها كالبركة الربانية
التي تختتم بها الصلوات

* * *

ثم اقرأ من دواوين القريض
مايحلو لك من القصيد
بعد أن تضيف الى قافيته الشعرية
عذب نبرات صوتك الشجية

* * *

فيمتلىء الليل أنغاما شجية
وتبدأ المشاغل التي تكدر صفو النهار
تطوي خيامها كالاعراب
ثم تشد الرحال في هدوء وسكينة

فيرغيليك

القهوة

أصلها وتاريخ انتشارها

القهوة نبات عربى حتى انتقلت من اليمن الى اوربا وغيرها من العالم المتمدن فى القرن السابع عشر للميلاد باسمها العربى ، لأن coffee أو coffee تحريف «قهوة» كما انتقل التبغ من أمريكا فى القرن السادس عشر الى سائر أنحاء العالم باسمه الامريكى الاصلى (Tobacco) وجعلها العرب تبغاً . ونبات القهوة أو البن قديم فى اليمن وهو من نباتات المنطقة الحارة ولذلك فهو ينمو كثيراً فى بلاد الحبشة وغيرها من البلاد الحارة . وأما شرب منقوعه على نحو ما هو شائع الآن فلم يكن معروفا قبل القرون الاخيرة. والغالب أن عرب اليمن تعلموا شرب القهوة من الاحباش ثم نقلوها الى العالم المتمدن . وكان لفظ القهوة عند العرب قبل ذلك الحين اسما من أسماء الخمر، فلما عرفوا منقوع البن سموه به ، لان هذا المنقوع كان معدوداً عندهم من المسكرات. وقد أمرت الحكومات الاسلامية بمنعه وعاقبت متعاطيه . وكانوا فى بادىء الامر ينقعون قشر البن ويشربون منقوعه ثم تفننوا فى تحميص الحب على طرق مختلفة .

وكان السبب الذى دعا الى شيوع القهوة بين المسلمين رغبة مشايخ الصوفية فى السهر للاذكار، لأنهم رأوا فى منقوع القهوة قوة على التنبيه فتعاطوه . وفى كتاب «عمدة الصفوة فى حل القهوة» أن أول من تعاطاها فى بلاد اليمن جمال الدين الذبحانى المتوفى سنة ٨٧٥ هـ . وذلك انه كان يتولى وظيفة تصحيح الفتاوى بعدن وعرض له أمر اقتضى خروجه من عدن الى برعجم (بر افريقيا) فاقام بها مدة فوجد أهله يستعملون القهوة ولم يعلم خاصيتها، ثم عرض له لما رجع الى عدن مرض فذكرها فشربها فنفعته فوجد فيها من الخواص أنها تذهب النعاس والكسل وتورث البدن خفة ونشاطاً، فلما سلك الشيخ المذكور طريق التصوف صار هو وغيره من الصوفية بعدن يستعينون بشربها على السهر ثم تتابع الناس والفقهاء والعوام هناك على شربها للاستعانة بها على مطالعة العلم وغير ذلك من الحرف والصناعات. وقال: «كانت القهوة تصنع أولا من الكفتة أى الورق المسمى بالقات لا من البن ولا من قشره ، فما زالت تنتقل من بلد الى آخر حتى وصلت الى ثغر عدن فعدمت الكفتة فى زمن الذبحانى المذكور » وقال لأصحابه وأعوانه : « ان البن يسهر فامتحنوا بناقهوته » فامتحنوها فوجدوها تعمل عمله مع قلة الثمن والمؤونة ثم استمر انتشارها .

والظاهر أن شرب القهوة من القشر كان معروفا قبل زمن الذبحانى وهو أول من استخدم البن . وعلى كل حال فقد أجمعت العلماء أن القهوة لم تنتشر قبل القرن التاسع للهجرة فانتقلت من اليمن الى ما يجاورها حتى أتت مصر فى القرن العاشر .

وكان أول ظهورها بمصر فى حارة الجامع الأزهر الشريف فى العشر الأول من القرن [illegible]

اليمن يشربها فيه اليمانيون ومن بها [illegible] من أهل الحرمين . وكان يتعاطاها المشتغلون بالرواتب من الأذكار والمدائح فى طريقتهم . وكانوا يشربونها ليلة الاثنين والجمعة فيضعونها فى ماعون كبير (ماجور) من الفخار الأحمر ويغترف منها النقيب بكرجة صغيرة ويسقيهم الأيمن فالأيمن مع ذكرهم المعتاد عليها وهو (لا إله إلا الله الملك الحق المبين) وكان يشربها معهم مواظبة دائم .

قال العلامة ابن عبد الغفار (وكنا نحن نحضر معهم ونشربها فوجدناها فى إذهاب النعاس والكسل كما قالوا بحيث انها تسهرنا معهم ليالى لا نحصيها إلى أن نصلى الصبح مع الجماعة من غير تكلف، وكان يشربها معهم من أهل الجامع من أصحابنا وغيرهم خلق لا يحصى عددهم . وشربت كثيراً فى حارة الجامع الأزهر وبيعت بها دهراً فى عدة مواضع ولم يتعرض أحد مع طول المدة لشاربها . ولا أنكر شربها لا لذاتها ولا لوصف خارج عنها من ادارة وغيرها مع اشتهارها بمكة وشربها فى نفس المسجد الحرام وغيره بحيث لا يعمل ذكراً أو مولداً إلا بحضورها . »

فلما ذاع شربها بين المسلمين على هذه الصورة تنبهت الحكومة وذهب بعض الفقهاء الى وجوب منعها لأنها من المسكرات . وأول ما حدث التشديد فى منعها بمكة سنة ٩١٧هـ على يد رجلين أعجميين كانا مشهورين بالحكيمين وكان لهما فضيلة فى المنطق والكلام . وقد رحلا الى مصر فى آخر دولة الغورى . وأقاما هنالك حتى قدم اليها السلطان سليم الفاتح ففتحها ودخلت فى حوزة الدولة العثمانية .

وجاء فى كتاب عمدة الصفوة « وأعانهما على القيام بأمرها الشيخ شمس الدين محمد الحنفى الخطيب نقيب قاضى القضاة وسرى الدين بن الشحنة وآخرون تبعاً لهم ، فأغرى الشيخ شمس الدين الخطيب الأمير خاير بك المعمارباش بمكة ومحتسبها إذ ذاك على إبطالها من الاسواق ومنع الناس من شربها وقرر عنده أنها موصوفة بتلك الصفات القبيحة وحمله على عقد مجلس كان الحكم فيه بحرمتها وكتبوا بذلك محضراً أنشأه لهم « الشمس الخطيب » وأرسلوه الى مصر وأرسلوا معه سؤالا من انشاء الحكيمين والخطيب وطلبوا مرسوما سلطانيا لمنعها بمكة المشرفة . ثم لما انصرفوا من عقد المجلس أذاع الامير خاير بك النداء بالمنع عن شربها وبيعها وشدد فى ذلك فبطلت حينئذ من السوق . وكان الناس يشربونها فى بيوتهم اتقاء شره لأنه بلغه عن شخص أنه يشربها فأمر بجلده وطاف به الأسواق

ثم ورد بعد ذلك المرسوم السلطانى ولكن لا على وفق غرضهم فتجاسر الناس على شربها لاسيما وقد بلغهم أنها لا تمنع من مصر التى هى مدة السلطان، ثم قدم المرحوم ناظر الخواص الشريفة العلائى [illegible] الامام الى مكة المشرفة [illegible]

[illegible] من [illegible] الشهادة وأداتها وأراد [illegible] الى مصر ثم [illegible] فى [illegible] الموسم فازداد الامر فتورا والقهوة ظهوراً وتوجه الخطيب الى مصر وتوفى بالينبوع » .

وقال الشيخ أبو الفتح المالكى بالشام :

قهوة البن حرمت
فاحتسوا قهوة الزبيب
ثم طيبوا وعربدوا
وازلوا فى قفا الخطيب

وقال آخر :

قهوة البن حرمت
فاحتسوا قهوة العنب
واشربوها وعربدوا
والعنوا من هو السبب

واتفق فى ذلك العام المذكور أن الأمير قطباى قدم الى مكة المشرفة صحبة الشريف عوضاً عن خاير بك فأكثر من شربها فاشتهرت أضعاف اشتهارها الأول ، ثم لم يزل أمرها يتزايد فى الحرمين وغيرهما ، ولم يتعرض لمنعها أحد .

وبلغ الشيخ العارف بالله تعالى سيدى محمد بن عراق لما قدم الى مكة فى ذى القعدة الحرام سنة ٣٢ (١) انه كان يحدث فى بيوت القهوة بعض المنكرات فاشار على الحكام بإبطال بيوت القهوة مع تصريحه بحلها فى حد ذاتها غير مرة لغير واحد بحيث بلغ ذلك منه مبلغ التواتر المفيد للقطع ، وكذلك لم يتعرض لابطالها من المدينة طول اقامته فيها وبلغه أن امرأة شابة تبيع القهوة فى المدينة مكشوفة الوجه فمنعها من البيع فشكت اليه حالها من الحاجة فاذن لها فى البيع بشرط الستر ففعلت . ولما توفى الشيخ رحمه الله بمكة فى خامس صفر سنة ٣٣ رجعت الحال الى ما كانت عليه وأخذت القهوة فى الانتشار السريع .

وفى عام ٩٣٩ رفع الشيخ العلامة واعظ العصر الاستاذ شهاب الدين احمد بن عبد الحق السنباطى الشافعى سؤالا فى القهوة هذا صورته :

« ماقولكم رضى الله عنكم فى شراب يسمونه القهوة يجتمع عليه الجماعة يشربونه ويزعمون أنه مباح مع أنه يترتب عليه مفاسد كثيرة ، فهل ذلك جائز أم حرام . »

فكان الجواب بحرمتها وأنها مسكرة .

وفى سنة ٩٤١ هـ تعرضوا للشيخ فى مجلس وعظه بذكر « القهوة » فافتى بحرمتها وصمم على ذلك فى مجالسه بالجامع الازهر ، فتعصب جماعة من العوام لما سمعوا ذلك منه وخرجوا الى بيوتها من تلقاء أنفسهم من غير أمر حاكم بل لمجرد الحفلات العامية وكسروا أوانيها وضربوا جماعة ممن كانوا هنالك، فقام بسبب ذلك فتنة كبيرة وتعصبات ممن يقول بالحل والحرمة واحتيج الى الاستفتاء واتصل الامر بقاضى مصر الشيخ محمد بن الياس الحنفى فسأل عن حكمها جماعة من علماء القاهرة المفتين بها واعتمد على افتاء من قال بحلها من العلماء الكبار . وقد طبخها فى منزله وسقى منها جماعة بحضرته وجلس

يتحدث معهم طول النهار ليختبر حالهم فلم ير فيهم تغيراً ولا تنكراً فأقرها على حالها.

ولم تعد الحكومات ولا الديانات تتعرض لمنعها وأخذت فى الشيوع حتى انتشرت فى أربعة أقطار المسكونة فانتقلت من اليمن الى هولندا سنة ١٦١٦ م ومنها تفرقت فى أوربا فوصلت انكلترا سنة ١٦٤١ م على يد رجل أكريدى الأصل. وأول قهوة عمومية انشئت فى انكلترا أنشأها رجل يهودى اسمه «يعقوب» من اكسفورد وكان ذلك عام ١٦٥٠ م .

وبعد عامين جاء لندرة تاجر انجليزى يتعاطى التجارة الشرقية ومعه خادم يونانى فتح أول قهوة عمومية فى لندن سنة ١٦٥٢ م وقس على ذلك ظهورها فى الممالك الاخرى .

وقد انتقلت الى أميريكا سنة ١٧١٧ م وكثر الاقبال عليها وراجت تجارتها هناك عن أى قطر آخر فى ذلك الحين .

مادموازيل أمينة صدقى
بابازوغلو
ليسانسيه فى التربية والآداب
من باريز

كيف تدافع عن نفسك

كل انسان معرض لأن يعتدى عليه فى نفسه أو فى ماله أو فيمن يلوذون به . وقد يصل الاعتداء الى حد السطوة الليلية بقصد السرقة أو القتل . أو يكون أبسط من ذلك كلطمة على الوجه أو دفعة فى الصدر أو اغتصاب شىء كرها أو مجرد كلمة مهينة مذلة لنفس الانسان أو لشخص يهتم به . على أنه حتى فى الاحوال الاخيرة التى يمكن أن تعتبر أبسط الاعتداء يحس المعتدى عليه ألماً مبرحا لا يمكن السكوت عليه بغير ايقاف المعتدى عند حده وارغامه على سحب اهانته أو الاعتذار الذى يمكن أن يمحو الاهانة .

وقد يكون الانسان فى هذه الظروف ليس مضطراً الى الدفاع عن نفسه فحسب بل عن رفيق له . وقد يكون هذا الرفيق صبيا ضعيفا أو شيخاً متقدما فى السن أو سيدة أو فتاة — أم أو أخت أو زوجة أو خطيبة أو حبيبة — وقد يكون الخصم مسلحاً أو أكثر من واحد أو من اولئك الذين يعتدون بقواهم الجسمية ، فيهمهم أن ينتهى الامر بصراع حقيقى يتم له التغلب على خصمه واذلاله على مرأى من الجميع .

ان القوة المادية لا تجدى نفعاً فى مثل هذه الاحوال بل يحتاج الامر الى استخدام القوة الموجودة بشكل يمكن به التغلب على الخصم أو الخصوم ورد كيدهم الى نحورهم . وهذه هى مهمة المصارعة اليابانية .

نحن ندرسها مكملة بالمصارعة الرومانية والملاكمة بالمراسلة بسهولة تامة . أطلب الآن كتابنا المصور ودروسنا المجانية للتجربة لا ترسل نقوداً بل فقط ١٠ مليمات طوابع بوستة لتكاليف البريد

مدرسة النظام عن الدفاع عن النفس صندوق البوستة ١٧٨٥ القاهرة

التسامح عند أناتول فرانس

للدكتور محمد غلاب

لقد كان أناتول فرانس معتبراً فى البيئة التى كان يعيش فيها كناقد عالمى كبير يتناول قلمه الفكر الاجتماعية والاخلاقية والسياسية والدينية بالنقد والتحليل ، ولكنه منح الدين بنوع خاص عناية كبيرة وأفسح له بين صحائف كتبه مكانا واسعاً، لانه كان يعتبره صاحب السلطة على الاغلبية الساحقة من الشعوب . واذاً ، فتقويمه يجب أن يكون أهم من تقويم ما يتصل بالاوساط المستنيرة التى تعتبر أقلية ، فما يتصل بها ينبغى أن يكون فى المنزلة الثانية من العناية والاهتمام.

على هذا المنوال سار أناتول فرانس ، فأنت لا تكاد ترى كتابا من كتبه خلوا من نقد العقائد أو بعيداً عن لذع الديانات ، ولاسيما الديانة المسيحية التى كان يبغضها ويسخر منها ويحقد عليها الى درجة بعيدة ، وكان لا يتحرز أن يذكر ذلك فى كتبه عند أول فرصة تسنح له بأسلوب شديد التهكم والازدراء .

قبل أن نعرض لهذا الجانب من جوانب أناتول فرانس ، ينبغى أن نشير الى الايدى التى كان لها الأثر الجوهرى فى تكوين هذه العقلية الجبارة .

١ — مكتبة والده التى قرأ بين مؤلفاتها كتب اليونان والرومان، ومر بين صحائفها بجبتير وأتينا وديان وأبلون وغيرهم ، ورأى ما كان لهم فى نفوس أفراد الامة من التقديس والاجلال وفى قلوب أبنائها من عميق التصديق وقوة الايمان ، ثم رأى بعد ذلك هذه الحقيقة تنزل عن عرشها وتتركه لحقيقة أخرى توجتها أيدى الجماهير فى العصر الذى يلى عصر انصار الحقيقة الاولى التى قد أصبحت الآن اسطورة جديرة بالضحك ، خليقة بالسخرية والاستهزاء . فاستنتج اناتول فرانس من ذلك أن الحقائق كلها نسبية واعتبارية ، وأن دولها مؤقتة آئلة الى التغير ، منتهية الى الزوال . وأدرك انه لا يبعد أن ينال الديانة المسيحية ما نال الديانة اليونانية من النزول عن عرش الحقيقة والوقوف فى صفوف الخرافات والاساطير، فيصبح المؤمنون بها مثلا من أمثلة الهزؤ والسخرية ، فشاء أن يقف موقف المحايد ذهابا بنفسه عن مواطن الضعة والمهانة ، فظهر فى أول حياته الفلسفية بمظهر اللاأدرى الشكاك . وانك لترى لاأدريته واضحة جلية فى رواية تاييس حيث تجد نوكليس الفيلسوف الذى يمثل اناتول فرانس فى هذا الكتاب يجابه الراهب بفنوس بقوله (لست أفهم يا هذا ما تقول ، ولست أعرف ذلك المسيح الذى تتكلم عنه) فيقول له بفنوس (أن تنصر نفسه صدقه ، وإن تجده ظاهراً حتى أمام عينى الى المجهول ، فهل من الممكن أن تجهله ؟) فيحاوره نوكليس بهذه الجملة : (نعم يا صديقى إن جهلى للمسيح ممكن ، ولو ان فى هذا الوجود حقائق مؤكدة ، لكان هذا الجهل احدى تلك الحقائق الى آخر ما دار بينهما من المحادثة المفعمة باللاأدرية المطلقة واللاأدرية العالية .

كفولتير ، وجان جاك روسو ، والقرن التاسع عشر كرينان، والفريد دى فينى والكونت دى ليل الذين كان يستظهر كتبهم وقصائدهم .

٣ — دراسته فى كلية استانسلاس الدينية، فهناك درس اناتول فرانس الديانة المسيحية بدقة وعناية ، وهناك شاهد عن قرب أهواء القسس ومطامعهم ومؤامراتهم ودسائسهم وبغضهم لحرية الرأى واستقلال التفكير، وهذا هو الذى أثار ثائرته ضد الديانة المسيحية وأهاج سخطه عليها وبغضه اياها (والكنيسة تخلق بيدها أعداءها الألداء كما يقولون). ولولا انه رأى تلك النقائص لظل واقفاً موقف الحياد يكتفى بالبسمة يرسلها سخرية من طفولة الانسانية الغارقة فى بحار الجهل والضلال ، وبالزفرة يدفعها ألماً على ما تقاسيه من شقاء وعذاب ، ولكنه رأى المسيحية تضطهد الحرية والمساواة والتسامح ، بل ، وتذهب الى أبعد من هذا . فأناتول فرانس يحدثنا فى كتابه التاريخ العصرى أن الأب لانتينى يبغض النظام الجمهورى ، لأنه يقول بالحرية والمساواة والتسامح . وهذه المبادىء الثلاثة تتنافى مع الكاثوليكية تمام المنافاة . ولما كان أناتول فرانس يعبد الحرية ويقدس المساواة ويدين بالتسامح ، هب يدافع عن هذه المبادىء دفاعا قويا وينعى على كل من يحاول أن يمسها بشر أو ينالها بسوء، ثم حدثت حادثة اليهودى البرىء (١) التى لعبت فيها يد الكنيسة والعسكرية دوراً مخجلا بعيداً عن النزاهة والعدالة ، فوقف اناتول فرانس وقفته الشريفة التى عادى فيها حتى الخاصة والعلماء أعضاء المجمع العلمى الفرنسى فضلا عن العامة والجماهير .ولقد كانت هذه الحادثة أحسن مجال لظهور غمزات أناتول فرانس ضد الكنيسة ورجال الدين ، وإنك لترى ذلك جليا فى الكتب التى ظهرت بعد ذلك الحين . فالحادة لا يظهر صريحا واضحا فى أى كتاب آخر ظهوره فى كتاب ثورة الملائكة وفى اعترافاته لصديقه المسيو ميشيل كورديه . كقوله مثلا فى كتاب ثورة الملائكة مخاطباً الكتب (ايه أيتها الكتب أنت وان كنت لم تنبئينى بحقيقة جديدة ، فانك أفهمتنى ان ذلك الذى كنت أومن به وأصدقه هو غير معقول وغير جدير بالتصديق) وقوله فى هذا الكتاب أيضاً (ان حيوانا إله اليهود الخادع اخترع خرافة ليضل بها الانسانية وهى : ان الانسان خاطىء بفطرته ، وانه لا ينجيه من هذه الخطيئة الا تضحية ابن الاله ، فانزله الى الارض ثم تركه بين يدى اليهود يعذبونه قتلا وصلبا ، فهل من المعقول أن الخطيئة تكفر بالجريمة ؟ ثم هل من المعقول أيضا أن يؤخذ البرىء بذنب الجانى ؟ كلا) .

ولما سأله مسيو كورديه عن عقيدته أجاب بقوله : (انا ملحد يا صديقى ، وانى ما ألحدت الا بعد اطلاع واسع ، وتفكير عميق ، وتأمل طويل) ثم تحدث معه فى شأن المسيح فقال

(أنا أعتقد يا صديقى ان هذا كله من مبتدعات الانسانية ، وأكبر برهان على هذا أنها صورته على صورتها) . ثم أخذ أناتول فرانس يعقد الشبه بين الديانة المسيحية والديانة اليونانية التى صورها اليونان طبق أهوائهم ورغباتهم .

هنالك سبب آخر حدا بأناتول فرانس الى بغض المسيحية والحنق عليها ، هو محاولة هذه الديانة صرف الناس عن اللذائذ والمسرات الدنيوية ، ولهذا يقول فى أحد كتبه : (ان هذه التعاليم خلقت بين الانسان وطبيعته سوء تفاهم دام أكثر من ثمانية عشر قرنا) ويقول لصديقه المسيو كورديه بعد زيارته لاحدى الكنائس : (كم يشعر الانسان بحزن وانقباض صدر حين [illegible] الحزينة ، إنه من سوء الحظ أن يضرب هذا الحزن سرادقه على فرنسا كل هذا الوقت الطويل)

نستطيع أن نخرج من كل هذا بنتيجتين ، الاولى : أن أناتول فرانس كان ملحداً ، والثانية أنه كان حانقاً على الديانة المسيحية ، وعلى القسس بنوع خاص ، وان هذه العاطفة موجودة فى الاغلبية المطلقة من كتبه وهى كثيرة طويلة . ولكنا نرى من الحق علينا أن نعترف بأن أسلوبه هو أهدأ أساليب الفلاسفة والملحدين وأبعدهم عن الحدة ، وأبعدهم عن التعصب والاندفاع وراء العواطف والاهواء .

محمد غلاب
دكتور فى الآداب

ماهو أهم أطوار الحياة ؟

الطبيعة لا حاجة بها الى الانسان بعد سن الخمسين

ناموس الطبيعة القاسى

يقول الدكتور مكارثى أستاذ الطب الشرعى بجامعة بنسلفانيا بأميركا أن الطبيعة لا تحتاج الى الانسان بعد سن الخمسين . فهى تساعده قبل تلك السن وتبذل كل ما فى وسعها . لا بالغه ذلك الطور . فمتى بلغه لم يبق له فى نظرها قيمة على الاطلاق . فوجوده وعدمه سيان .

أما الانسان فيعتقد خطأ أن قيمته تبدأ بعد سن الخمسين ، إذ يكون قد اكتسب من تجاريب الحياة خبرة وتكون قواه العقلية قد نضجت . فيبدأ بمحاربة طلائع الشيخوخة ويقاوم الامراض ويستخدم قواه العقلية فى التغلب على كل ما يهدد كيانه . وهذا كله جهد ضائع ، لأن ما يهم الطبيعة من أمرنا ليس هو قوانا العقلية بل الجسدية . فهى لا تعنى بمبلغ ادراكنا العقلى بل بقدرتنا على انتاج النسل ليتصل حبله الى ماشاء الله . وعليه فهى لا يهمها من كان عاجزاً عن القيام بتلك المهمة العظمى — مهمة إيجاد النسل التى هى أعظم وظائف الحياة

والانسان ينقطع عادة عن انتاج النسل بعد سن الخمسين ويصبح بلا نفع فى نظر الطبيعة فهو أجدر بالموت منه بالحياة

هذا هو موقفنا بازاء الطبيعة على ما يقول الدكتور مكارثى . وأما القوى العقلية فلا قيمة لها على الاطلاق . وهذه القوى ليست اليوم أفضل مما كانت فى العصور الماضية . بل ربما كانت فى تلك العصور أرقى مما هى الآن. وربما كان الشعب اليونانى فى عصر أثينا الذهبى أرقى عقلا من أهل الجيل الحاضر . فقد كان الرجل فى ذلك الزمن يعتمد على قوة عقله. وأما اليوم فما من عالم إلا ويعتمد على نتيجة الدرس والاختبار التى انتهى اليها غيره فيستغلها ويبنى عليها مباحثه

وقد نشرت إحدى المجلات الاميركية العلمية فصلا فى هذا الموضوع جاء فيه ما يأتى : — « إن الادعاء بأننا قد بلغنا من الرقى العقلى منزلة رفيعة ولا سيما فى هذا العصر المعروف بعصر الآلات (الميكانيكيات) انما هو ادعاء باطل لا تقوم له قائمة ولا يؤيده برهان منطقى . نعم أن تجويف الدماغ فى الانسان هو أكبر من تجويف دماغ القرد، ولكن حجم التجويف ليس دليلا على مبلغ قوة الدماغ (القوة العقلية). ومن العبث أن نقابل قوة غير مادية موجودة فى هذا العصر بقوة غير مادية كانت موجودة فى الاحقاب الغابرة . على اننا اذا قسنا آثار تلك القوة وجدنا أن دماغ اليونانى فى عصر أثينا الذهبى كان أقوى بكثير من دماغ الرجل الاعتيادى (المتوسط) فى هذا الزمن

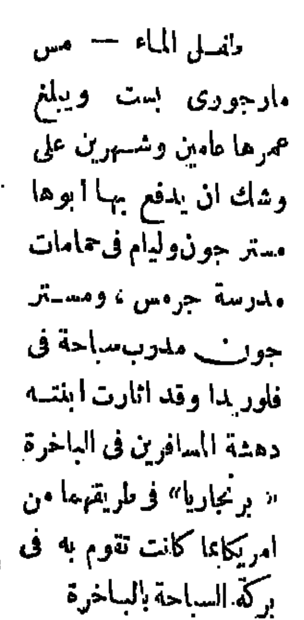
ومن النواميس الازلية الراسخة أن الطبيعة — لغرض لا يمكن تعليله — تنتقى دائماً الافراد أو الشعوب التى هى أشد قوة وحيوية وأصلح للبقاء من غيرها . ومتى نالت بغيتها منها نبذتها وعادت لا تعنى بأمرها .

ولا يخفى أن دماغ المرء يكون على أسرعه نمواً فى الخمسة الاعوام الاولى من الحياة. وقد قدر بعض العلماء سرعة ذلك النمو بعشرة أضعاف سرعة النمو فى الاعوام التى تلى الخمسة الاولى . ثم أن السنوات الثمانى عشرة الاولى من العمر هى سنوات تغييرات كيميائية يقتضيها لنشوء قوى الجسم . والسنوات التى تليها حتى سن الخمسين هى أهم أطوار الحياة — والطبيعة لا يهمها الا هذا الطور لأنها تستغل الانسان فيه الى أقصى حد ثم تنبذه . ومثلها فى ذلك مثل المرء يأخذ الثمرة فيأكلها وينبذ نواتها أو مثل الليمونة يأخذ عصيرها ثم يطرحها جانباً.

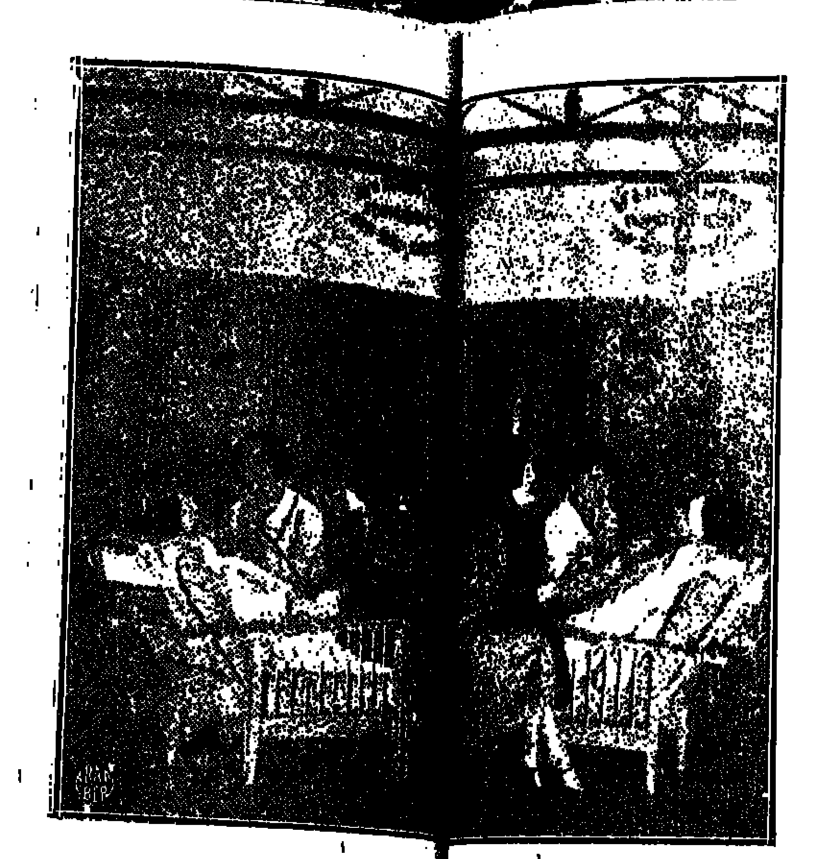
وبعبارة أخرى إن الخمسين سنة الاولى من حياة المرء هى الطور الذى يهم الطبيعة من جهة مواصلة النسل، لأن بقاء النوع — كما سبق القول — هو أهم وظائف الانسان فى هذه الحياة . بذا قضت الطبيعة وهكذا رتبت . والغريزة التى فى نفس الانسان تدفعه الى انتهاج أفضل الخطط المؤدية الى بقاء النوع . أما الجهود الشاذة وغير الطبيعية التى يبذلها بعض الافراد لتجديد هذا النوع أو النسل فلا بد لها من

(البقية على صفحة ٢٤)





[..]تقل الماء — مس مارجورى بست ويبلغ عمرها عامين وشهرين على وشك ان يدفع بها ابوها مستر جون وليام فى حمامات مدرسة جرمس، ومستر جون مدرب سباحة فى فلوريدا وقد اثارت ابنته دهشة المسافرين فى الباخرة «برنجاريا» فى طريقهما من امريكا كانت تقوم به فى بركة السباحة بالباخرة



[..]اق التجميل — منظران فى صالة الجمال [..]ورين مقدار ما تتحمل الفتاة عناً للجمال.

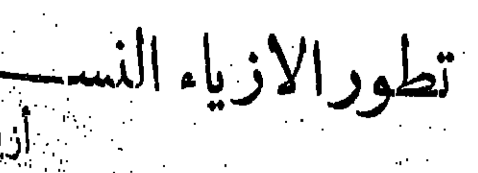


مس يوشيكو أوكادا ومس شيزونا تسوكاوا فى موقف من رواية «العمل» السينمية



مسابقة بين الجرسونات — أقيم فى مونمارتر سباق غريب بين الجرسونات كلف كل جرسون من المشتركين فيه [..]حمل صينية وعليها أكواب من الماء وزجاجة من البيرة على أن يصل بها الى نقطة معينة ويذهب ما فيها الى الزبائن، والجرسو الذى يصل قبل زملائه ويقوم بعمله على وجه مرض يفوز بالجائزة.

سرير عرض أخيراً فى المعرض الطبى بلندن ويستطيع المريض بكل راحة أن يجد عليه كل حاجته. وإذا [..] زر كهربائى تحركت «المرتبة» الى فوق أو تحت حسب الطلب. وهذا السرير مفيد على الأخص فى حالات المرض[..]



تطور الازياء النسوية فى العالم

أزياء [..]ع عشر

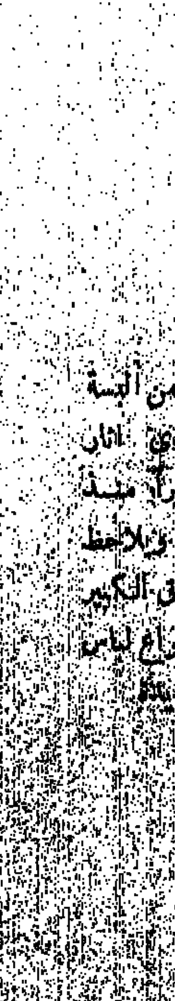


لباس اعتادت بعض الفتيات لبسه فى ختام القرن التاسع عشر، ومنه يظهر أن نزعة التشبه بالرجل عند المرأة قديمة



فتاة فى لباس [..] استعداداً [..] دراجة وقد [..] ذلك من انواع [..] الشائعة حينئذ





نوع من [..] البحر فى القرن [..] عشر وكان [..] وقته [..] ويلاحظ [..] من ذلك [..] التطور [..] لباس البحر [..] ثلاثين سنة [..]



لباس من ألبسة البحر اللذى اتان اتقاناً كبيراً منذ ثلاثين سنة ويلاحظ الآن الفرق الكبير بينه وبين انواع لباس البحر الحديثة

بحث فى خلود الروح

للاستاذ نقولا يوسف

هذا موضوع لاتبالى به الاغلبية التى تدور مع الارض مسيرة غير مخيرة ، لاترفع أبصارها عن أديم الارض ولاتسمو بخيلاتها عن قشور الحياة وفقاقيعها . اذ ماذا يهم تلك المخلوقات أن يكون هناك ما يدعونه بالروح ، وأن يكون هذا الروح خالداً أو فانياً ، وأن يستطاع مناجاة الارواح أو استحضارها ! ماداموا لايكسبون من وراء ذلك الضرب من التفلسف قرشاً أو يعود عليهم من ورائه أى مغنم ! تلك فئة تدب على هـذه الارض كغيرها من مخلوقات الله : ناطقها وأعجمها تولد وتأكل وتتناسل ثم ترحل من حيث جاءت مغمورة مستسلمة ، تتلاقفها فى حياتها وموتها موج القدر ، إن شاءت حملتها الى شاطىء الخلود الروحى وان شاءت قذفت بها فى لجة الفناء الابدى . أما قبس الفكر الذى وهبته غير مختارة فلاشأن له فى وجودها الا فى توجيه آلة الجسد يمنة ويسرة نحو الغايات المادية الزائلة التافهة . . .

قال بسكال « لا يمل الانسان من الاكل والنوم كل يوم لان الجوع والنعاس يعودان والا كان يمل منهما ولذلك يمل من الاشياء الروحانية من لا يجوع اليها » . .

والحق ان أولئك لم يحرموا من نوع من السعادة ، فكم من جاهل ينعم فى شقاوته . وكم من مأفون يهنأ بغروره وأخيلته . أما أولئك المصابون بهوس التفكير فى ما وراء المادة ، والذين يرثى لحالهم أولئك الماديون المساكين فقد رضوا بنصيبهم من ذلك الجنون الموهوم . هنيئاً لهم همهم فى السعى وراء الحقيقة وفى سبيل ذلك التفكير فى العلويات والروحانيات ، فليس الله نفسه الا روحا علويا ، وليست حياة كل منا غير فترة قصيرة تنتهى الى ذلك العالم المجهول الذى نحاول اكتشافه والذى ليس وراء العلم به غاية أسمى ولا أروع .

أما المفكرون فى شأن الروح وخلودها فثلاث فئات : الروحانيون المعتقدون بوجود الروح وخلودها بعد الموت ، ومنهم من يذهب بتقمصها فى أجسام أخرى ، واللاأدريون الذين يخرجون بعد البحث قائلين « لا ندرى » ، ثم الماديون الذين ينكرون وجودها ويرون أن الشخصية تفنى فناء أبديا بموت الجسد . اذ ليس الانسان لديهم غير حيوان مادى تحركه الدورة الدموية تنقطع حياته بانقطاعها ، فأين تلك الروح التى لا تدرك بالحواس ولا تعلل بالمنطق ؟

أما اللاأدريون فقد أراحوا أنفسهم من أدلة النفى والاثبات . أما المنكرون فكثيراً ما تكون لهجتهم القلبة اذ أن النفى فى كل شىء أسهل من الاثبات . ويكفى لجاحد الروح أن يتعلل بانكاره لانه لا يدركه بحواسه ولا هو يقع تحت تجربته . بل إن هناك نوعا من فلسفة الانكار يجحد وجود الحياة نفسها ، وتطالبك بالبرهان على وجودك ، فيكون هذا العالم كله شيئاً خياليا موهوما ! !

بقدر مايثبته الادراك الذهنى . فالحواس كثيراً ما تخطىء فى ادراك المحسوس نفسه وفى الحكم على الماديات كالالوان والنور والطعوم . ولدينا من غلطات البصر والسمع مثلا أمثلة كثيرة معروفة ولا تختص الحواس الا بالاشياء المحسوسة لا بالاشياء الروحانية . . قال الفيلسوف مالبرانسن فى كتابه « البحث عن الحقيقة » : « تدرك النفس بالحواس الاشياء المحسوسة الخشنة فقط كلما كانت حاضرة فأثرت فى أعضاء الجسم الخارجية وتعدى هـذا التأثير الى حد الدماغ أو كلما كانت غائبة وأحدثت بالتيار العصبى فى الدماغ تأثيراً كالسابق . . يجب علينا أن لا نحكم أبداً بواسطة الحواس فيما هى الاشياء فى أنفسها فلا نحكم بواسطة حواسنا الا فى نسبة الاشياء الى بدننا . . »

ويقول العالم أوليفر لودج أكبر المبشرين المعاصرين بخلود الارواح واستحضارها : « يجب أن نميز بين ما تحس به حواسنا وبين الاستنتاج الذى ندركه بأذهاننا ، فبحواسنا نعرف هـذا الجسم الحى الذى ينمو ويتغذى ونسميه انسانا وهو مجموعة من ذرات من المادة ، ولكن بالذهن ندرك أن فى هذا الجسم شيئا لا نعرف ماهيته يتسلط على هذا الجسم ويجعله حيا ... »

اما الخيال فانى له أن يدرك الروح . . والنفس ، كما قال مالبرانسن ، لاتدرك بالخيال الا الاشياء المادية فقط كلما كانت غائبة . . أما الاشياء الروحانية فلايمكن أن نصنع منها صورا ولا تستطيع النفس أن تتصورها . . »

أما المنطق فكثيرا ما تنى أقيسته وقضاياه بالتلاعب اللفظى والسفسطة ، الواقع المحسوس وتقلب أحيانا الحقائق الى عدم ، ولكنه رغم ذلك وسيلة هامة سخرها الفلاسفة فى اثبات خلود الروح كما فعل أفلاطون مثلا

ولكن أليس فينا من يؤمن بوجود القوة الخالقة الشاملة ، وهى الله ، معترفا بعظمتها وقدرتها . وليس بيننا من يدركها بالحواس أو بالمخيلة بل فى الغالب بالغريزة والايمان « فهو موجود لاننا ندركه والعدم لايمكن أن يدرك » . . وكلنا يعترف بوجود ذلك المؤثر المسمى بالكهرباء وينتفع به فى حياته ولكن ليس بيننا من يعرف ماهية الكهرباء ولا كنهها . وكلنا يتحدث اليوم عن الجوهر الفرد وما يدور حوله من الكترونات كما تدور الكواكب حول الشموس . ولكننا لا نعلم كنه ذلك الجوهر الفرد ولا ندركه بالحواس ، وكلنا يؤمن بوجود الاثير وحلوله فى كل ذرة ، ولكن ليس بيننا من يحس ذلك الاثير الذى يملأ فضاء الكون أو يكشف لنا عن سره بما أوتى من حواس وعقل وفعلية . وكلنا يكثر من ذكر العقل والنفس والوجدان ويقرأ آخر ما وصل اليه علماء النفس فى تعريفها وتقسيمها وبيان علاقتها

الفعالة العجيبة ، وكيفية اتصالها بالمادة .

ذلك لأن ما نجهله من أسرار الوجود لا يقاس بما نعلمه منها ، بل نحن نكاد لا نعلم شيئا عن هذا الكون المشحون بالاسرار بالرغم من ذلك التقدم العلمى الذى بلغه العالم اليوم . وفى كل ساعة نكشف عن سر غريب من أسرار الكون كنا نجهله ولا نعتقد وجوده . أفلا يجيز لنا ذلك أن نقول ان أمر الروح هو أيضا بين تلك الاسرار التى لم يصل تفكيرنا المحدود بعد الى اكتشافها ، وأن انكارنا لها اليوم مبنى على الجهل كما أنكر أسلافنا قوة الكهرباء أو استطاعتنا التحليق فى الهواء ؟ ! وانه لخير لنا أن نؤمن بالروح وبقائها معتمدين على الادراك الذهنى من أن ننكرها فنكون فى ايماننا بها أكثر ربحا منا فى انكارها مادام فى ذلك الايمان عزاء لنا فى هذه الحياة المضطربة ، وإن لنا من تلك العقول الجبارة التى آمنت بالروح بعد بحث وتمحيص خير مرشد لنا فى ايماننا .

وقد اعترف بخلود الروح عدد عظيم من رجال الفكر منذ ظهور الانسان . وقد بدأ الانسان منذ العصر الحجرى يشعر بالغريزة بوجود قوى مستترة ، فعمد فى سبيل ارضائها المظاهر الطبيعية ، ثم بدأ يخشى القوى الروحية ويقدس الموت . وهنا بدأ السحر والعرافة والكهانة تتدرج الى نشوء الاديان . وظهور فكرة الآلهة الى أن تقدمت المدنية وجاء دور قدماء المصريين . فأدركوا وجود الروح ، وخلودها وسموها « كا » وكان هذا الموضوع كما يبدو مما خلفوه لنا من آثار ، شاغلهم الاكبر . ولا بد أنهم عرفوا أيضا استحضار الارواح ومناجاتها كما عرفت فى هذه الأيام الاخيرة . ولمن يريد الاستزادة فى علم قدماء المصريين بموضوع الروح وخلوده مراجع لاعداد لها

وكان طاليس أول من قال من فلاسفة اليونان بأن الأرواح غير فانية بل هى أزلية خالدة . وكان ابيكتاتوس يقول : « ان هـذا الجسم هو المظهر الفانى لذلك الجوهر الخالد . » وقال يوريبدس : « من يدرى أن الحياة ليست موتاً وأن الموت ليس حياة » . وفى خطاب سقراط قبل اعدامه يقول : « . . ولكن اذا كان الموت كما يقولون رحلة وانتقالا الى مكان آخر يلتقى فيه كل من عاش ومات . فأى شىء أعظم من ذلك أيها الاصدقاء وأيها القضاة » ؟ .

وجاء دور أفلاطون فى القرن الخامس قبل الميلاد فقال : « اذا كان هناك من تعليل وتفسير لتصرفات الآلهة مع البشر فلا بد من تقدير حياة مستقبلة » . وكان أفلاطون من أوائك المؤمنين بخلود الروح بعد أن عالج موضوعها طويلا . فوصل فى كتابه (الوليمة) الى أن الروح ترقى بواسطة تعقلها الفضائل والمعلومات وقربها من الله ، وأن الروح كالجسم فى تغير مستمر ، وتوصل فى كتابه (فدروس) الى القول بأن الروح تميز الى كل جهة فى الكون وأن الارواح مقسمة الى طوائف مختلفة الطباع ، تجول فى انحاء العالم . وأورد أفلاطون فى كتابه (فيدون) عدة براهين على بقاء الروح

تدور بين ضدين . فالأشياء تتحول من الازدياد الى النقصان ، ومن النقصان الى الزيادة وأن اليقظة تحدث بعد النوم ، والنوم بعد اليقظة . ذلك الحدوث أو الصيرورة حركة ، ولو لم يوجد هذا الدوران لانتهت جميع الحوادث الى حالة واحدة . وهذا الدوران يستلزم أن يحدث الحى من الميت والميت من الحى . . ويرى أفلاطون أن الروح حاكم والجسم محكوم والحاكم أكثر مماثلة لما هو إلهى وخالد ، والجسم لما هو بشرى وفان . فأذن الارجح أنه اذا انفصلت الروح عن الجسم وكانت طاهرة ذهبت الى ما هو إلهى . أما اذا كانت غير نقية فتبقى فى شكل خيال يسير على الأرض إلى أن تتعلق مرة أخرى بجسم مادى . فالموت لايخلص الروح من الشرور الملتصقة بها ، بل الذى يخلصها هو التحول الى الخير . .

وليعد من شاء الاستزادة الى كتاب (فيدون) ففيه تفيض حكمة أفلاطون على موضوع الروح وخلودها أنواراً ساطعة .

أما ابن سينا فله فى كتاب « النجاة » أبحاث طيبة برهن فيها على أن النفس لا تموت بموت الجسم وأنها لاتقبل الفساد وأن الروح لم توجد قبل البدن لانها تحدث حينما يحدث البدن الصالح لاستعمالها اياه . أما بعد مفارقتها البدن فان الانفس ، على قول ابن سينا ، قد وجدت كل واحدة منها ذاتا منفردة باختلاف موادها التى كانت وباختلاف أزمنة حدوثها واختلاف هيئاتها التى بحسب أبدانها المختلفة . ولابن سينا بحث فى بطلان القول بتناسخ الارواح .

أما الفيلسوف مالبرانسن فيقول فى كتابه (البحث عن الحقيقة) (إن الله هو العالم المعقول أو محل الارواح كما ان العالم المادى هو محل الاجسام ، فمن قدرته تكييف الارواح تكييفاتها كلها ، وفى حكمته تجد فكراتها كلها ، وبحبه تضطرب بجميع حركاتها المنظمة) ويقول (إن الجسم يصرف الروح عن حضرة الله أى عن النور الداخلى الذى يضيئه ويجعله يدرك جميع الاشياء لا كما هى فى أنفسها بل من وجه اسبتها الى حفظ الحياة . .)

وجاء رهط عظيم من علماء هـذا القرن وأدبائه فآمنوا بخلود الروح وعقدوا تاملا استحضارها ومناجاتها وتسلم رسائلها ، منهم اوليفر لودج وكونان دويل وفلمريون ومئات غيرهم . وقد وضع اوليفر لودج مجلدا من المؤلفات والابحاث فى هـذا الشأن وقال فى احدى مقالاته : (اذا تساءلنا أن تكون شخصية الانسان حين ينقطع اتصاله بالمادة ، هل تفنى هذه الشخصية أو تبقى ، فالجواب ان الله ليس ما يحملنا على الاعتقاد بفناء الشخصية اذا انقطع اتصالها بالمادة لانها اذا كانت متصلة بالاصل من الاصل فان هذا الاتصال يستمر بعد الموت ولو كانت فى شكل أو هيئة لايمكننا تبينها بحواسنا . .)

أما الاديان فكلها تنص على خلود الارواح ملصقها الجديدة التى تذهب بتقمصها الارواح

شــفاء أحلى !

لوريس ڤاليس

قالوا — وانا منهم — ان الحب مرض مزعج لكل من حل به ، ونزل بساحته ، ذكراً كان أو انثى . وحاول الجميع الوصول الى دواء يشفيهم من هـذا المرض ، أو يقيهم شره ، فلم يوفقوا . فالبعد يورى النار ويزيد اللهيب ، والقرب يلهب القلب ويضاعف الشوق . فالبعد والهجران عذابهما سائغ محبوب رغم مرارته . والوصل والرضوان حلاوتهما مغرية بالاغراق والتوغل فى هذا المرض وقبول أكبر كمية ممكنة من مكروباته وجراثيمه !

ولقد قدر لى أن أصاب بهذا المرض الملعون مرة فى حياتى ، وأن أذوق فيه كل ما يتذوقه المصاب به من هموم وهناء وحسرة وعناء ، وحاولت ان أتخلص منه بكل الطرق فلم استطع . حتى كانت ليلة حدث فيها ما جعلنى اخرج من بين رفاقى . ولست وحدى الذى برىء بل صاحبتى أيضاً من الله عليها بالشفاء ، وقد تحصن جسمنا بعد هذا الدور الشديد فصار غير قابل لجراثيمه الفتاكة مدى الدهر .

***

كنت اناهز العشرين وقتذاك ، اخطو فى الحياة كما يبدأ الطفل خطواته ، وجلا هيابا يهزه الريح وتصدمه حصوة صغيرة فتكبه على وجهه . المرأة عندى شىء مقدس ، وحرم مصون عنده يجب الخشوع ولديه يلزم الركوع وغض الطرف . فان تكرمت بالكلام وجب الانصات وان أمرت وجبت الطاعة ، والا فكل مافى نواميس الارض والسماء — إن كان بالسماء نواميس — من صفات قلة الأدب ، ونعوت سافلة الحياء . وسوء التربية وفساد الذوق منطبقة على من يجرؤ على مخالفة أمر أو رفع صوت امام هذا الشىء المقدس

كان هذا شأنى مع المرأة أخافها وأتجنبها تخلصا مما أخذت نفسى به من تكلف امامها وحرص أن يبدر منى ما أظنه تقصيراً بالنسبة لها . ولم يكن هنـاك فرق بين الفتاة المراهقة والمرأة الرشيدة ، او بين الطفلة العابثة والعجوز المتزنة . كل أنثى أنا امامها ضعيف ضئيل خجول لجلاج ، أكاد أكون كذلك حتى امام أمى وجدتى المبجلة .

وقد كان مرد ذلك الى نشأتى الخاصة التى نشأتها بعيداً عن المجتمع لظروف خاصة طبعاً لايهمك أن تعرفها . وانما المهم أن تعرف حالة شاب فى هـذه السن ولشأ تلك النشأة فقدرت مبلغ تفكيره اذا مادفعته الغريزة المتأصلة فى نفسه الى البحث عن المرأة ليحبها !

كل نظرة توجه اليه من أنثى ، مهما كانت سنها ومهما كان نصيبها من الجمال أو الدمامة — مادامت استقرت عليه برهة أكثر من المعتاد — ولو فى مخيلته — تكون السبب فى اصطباغ وجهه بحمرة الخجل واستيلاء الارتباك عليه ، كما يحدث للفتاة العذراء ، ويطير صوابه اذا

وصل به التفكير الى درجة أن هـذه النظرة معناها حب تضمره له صاحبتها !

ولن تدهش بعد ذلك اذا علمت أن أول امرأة فكرت فى صاحبنا — الذى هو حضرتى — كرجل ، لم تلق أية صعوبة تعترض طريقها الممهد السهل . بالرغم من قلة نصيبها من الملاحة وقطعها الشوط الذى قطعته والدتى فى فدفد الحياة .

***

لم يكن قد مضى على تسلمى العمل أكثر من بضعة شهور حينما أوفدتنى الادارة الى مهمة فى ضاحية قريبة من المدينة تستغرق عدة أسابيع . وفى الحق انى ارتحت الى هذا الامر لأنى أعتبر الضواحى والأرياف جنة الارض ، والمدن جهنمها المستعرة بضوضائها الصاخبة وجلبتها المزعجة . ورحت والقطار يطوى بى الارض ، أحلم بما سأصادفه من مناظر جميلة وهـدوء ممتع مريح . وذهبت بى الأحلام الى تمنى أن تكون بجانبى أنثى أرتاح لها وأشركها سرورى وشعورى بهذا الجو الساكن البديع .

وصلت وكان فى استقبالى منـدوب خبير بتلك الجهات صدرت اليه أوامر بمعاونتى وتسهيل مهمتى .

مضيت فى عملى ثلاثة أيام ذللت فيها مااعترضنى من صعاب بفضل المرشد وأصبحت فى اطمئنان من سير العمل بالنظام والنجاح الذى كنت أعناه له ، مما سيكسبنى ثقة لدى الرؤساء . وفى اليوم الرابع رأيتها ورأتنى !

وأنت بالطبع لن ترهقنى بالاسئلة لتعلم مبلغ المفاتن والمحاسن التى جذبتنى اليها ، بعـد ان أوضحت لك حالى وموقفى من المرأة . فيكفى انها أنثى ، ويكفى انها نظرت الى أكثر من المعتاد ، وأظهرت شيئاً من الاهتمام ، كيف لا ، وقد بدأت بمحادثتى والابتسام لى ؟ ! اذن فهى بلا شك مشغوفة والهة ولا بد أن أشغف بها أنا الآخر وأوله ، وقد كان .

واذا أصررت وتشبثت بأن تعرف عنها ولو رسما كروكياً فخذ مابقى فى مخيلتى من صورتها على ما بها من طموس وغموض وبهتان ! — طول ، وعرض ، يشغلان من فضاء الكرة الارضية أكبر مساحة تشغلها بنت من كريمات والدتنا المبرورة — المغفور لها ماجرته علينا من مصائب بفضولها ونهمها — السيدة حواء !

مرفوعة الرأس ، مستديرة الوجه ، فى عينيها قوة تميل الى الشراسة ، وفى فمها اتساع يدل على ذلاقة لسان وتفوية اذا انبرى يتكلم . وذقنها مستديرة قصيرة ، عضلها مفتول قوى ، وجسمها ممتلىء لحماً وممتلىء قوة ومتانة . حدثتنى — فيما بعد — وحدثنى غيرها — أنها كانت — ولا تزال — تذلل الجواد الجامح ، وتعقر الثور الهائج وتصرع العنيد المتمرد بضربة واحدة من يدها الكريمة .

ذلك جسمها . وقد علمت أنها تسابق أمى فى السنين وتكاد تسبقها — أما خلقها فان غضبت وتنبهت لدقة الموقف وضيق المأزق الذى أنا مقدم عليه . النهار تصرم والشمس اختفت فلا حدائق ولا متنزهات نستطيع أن نقضى فيها وقتاً ، فاين نذهب ؟ ! .

قالت فى لهفة — ما أسعدنى ! سأستطيع أن اضمك الى صدرى الليلة وأقطع وجناتك تقبيلا ! .

تضمنى الى صدرها ! هذا جيد ! ولكن أين ؟ ؟ أين يقع هذا الضم وتقطيع الوجنات ؟ أفى الطريق ؟ لا بالطبع لأننا لم نعول على تعاطى مهنة الحراسة مثلا ، ولانحن بالغوها إذا عولنا !.

اذن فى منزلنا ؟ ! ياللداهيـة . وأمى ؟ ! وأبى ! ! واخواتى الذين يزيدون عن عدد أصابع اليدين والرجلين . كيف نتخلص منهم ، ونجعلهم لا يروننا ؟ ؟ وماذا يقال عنى أنا الطاهر المطهر ، الكامل المكمل الهادىء الحيى الخجول ؟ ! انها لاحدى الكبر ! ! .

أين إذن بالله ! ياللهول ! وتمنيت لو انقضت صاعقـة فمحقت أحدنا أو كلينا . أولو انشقت الأرض فابتلعت أحدنا أو كلينا . أولو صدمتنا سيارة فهشمت أحدنا أو كلينا فننقل الى المستشفى حيث نتأوه لا من نار الغرام بل من كسر العظام وتفايق الهام !

ولكن السيارات التى لها فى كل لحظة ضحية تقاعست فى تلك اللحظة عن الأخذ بناصرى ، وقعدت بها مروءتها الناقصة وانسانيتها المشوهة عن اجابة طلبى !

وإذ أنا فى لبختى وذهولى أتلفت كاللص مخافة أن يصادفنى أخ أو صديق ، اذا بعينى تأخذ اسم فندق مخطوطاً على باب نزل فى حى متوسط . فصحت من الفرح : حل المشكل !

وكانت هى ماضية فى القاء قصيدة الغرام التى صاغتها بتأثر وانفعال ، فأجفلت من صيحتى وقالت :

— أى مشكل تعنى ؟

قلت : مشكل المبيت !

قالت : (وقد بدا عليها أنها دهشت لا لاهتمامى بذلك الأمر التافه وعدى إياه مشكلا)

— لامشكل هناك من تلك الناحيـة ! سنبيت فى منزل ابنة عم زوجى والد ابن خالتى ....

وا نفتح فى ذهولا لهـذا النسب وتلك القرابة السخيفة ، فقلت فى شىء من الغيظ ، حاولت جهـدى أن أكتمه مخافة أن تبطش بى : —

— وماهذه ابنة عم زوجك والد ابن خالتك ؟؟

قالت : أوه ! هى مارى ! ألا تعرفها ؟

قلت : لم يسبق أن نالنى هـذا الشرف العظيم !.

قالت — وقد بدا على سحنتها الانقلاب : حذار ! إنها ستأوينا الليلة وإن كنت تشاجرت معها أكثر من مرة ، ولا يزال بجسمها من ضرباتى ندوب وآثار . إلا أنها لا تجسر على رفض مبيتنا ، وإلا ... ولوحت بقبضتها نحو السماء .

قلت — متلطفاً — : ألدى عندها أولاد وزوج ؟ ؟

قالت : لا ، بل عندها تسعة أولاد وجدة

فتاة نذود عن الاشبال وتجمع القوت للعيال ، تبطش ببطش عزيز مقتدر ، وتستكل ولا تبالى النتائج يصل اليها المبطوش به . وان سكنت فأودع من الحمل تبش وتبش وتباسط الكل فى ترانيم ولطف .

ومرة أخرى أتوسل اليك ألا تحاول معرفة ماهيتها ومركزها فى الحياة . وهل هى عذراء أو متزوجة . فما أنا بعارف شيئا من كل هذا ، وانما عرفتها وحيدة وحاملتنى برعايتها وصارحتنى بحبها وذبت أنا حياء وطار ذاتى شعاعا وأنا اتصور صوت امرأة . وكان صوتها عذبا رغم صورتها تلك ، يبارى جمالى الذى أعلن براءتى منه ويذكر ملاحتى — التى ليست بينى وبينها أية صلة . ودخلنى الغرور وانتفخت أوداجى . كيف لا ، وانا جميل رشيق . ومن قال ذلك ؟ ! امرأة ! .

اذن فهـذه المرأة التى قالت ذلك جميلة ورشيقة ليس فقط وانما هى أجمل من دب فوق البطحاء وشدت قبة السماء !.

وهى تبارينى لأنها أحبتنى ، اذن فانا لابد أن احبها ولا بد أن أجد فيها ملاكى المنتظر وسعادتى المرجوة . وهنائى المشتهى ! .

وأعفيك من التفاصيل وأجمل لك القول : يكفيك أن تعرف أن أواصر الصداقة والحب توثقت بيننا ، وتمتعنا فى جو الريف الجميل بأيام ممتعـة نتراشف كؤوس الهوى والغرام تحت أنف العذال وبصرهم ، وأنا لاه بالاحساس الجديد التى بعثته فى نفسى عن سؤالها فى شؤونها الخاصة ، حتى أهملت عمـلى ونسيت ما أخـذت به نفسى من نظام صارم ودقة ، وارتبك العمل واتصل بالادارة خبر الارتباك فارسلت تستدعينى بسرعة فودعت محبوبة القلب وحبة الفؤاد ورحلت بعد أن تواعدنا على اللقاء فى ميعاد عيناه فى المدينة .

وكانت عودة غبراء تلك التى عدتها . سمعت بعدها من التوبيخ على التقصير والاهمال ، وقوارص التأنيب ماكانت تتقزز منه نفسى وما كنت لأحتمله لولا انى أستحقه ، وهكذا تذوقت أول ثمرة مرة ، من ثمرات الهوى الحنظلية .

***

كان ذلك دشاً بارداً نزل على لهيب الغرام المتأجج فاطفأه أو كاد . وكدت أنسى الميعاد لولا أن أذكرتنى المحبوبة المشئومة به بخطاب يفيض هياماً وشغفاً . ومنذ احساسى بقرب الميعاد بدأت أحس كأن حملا ثقيلا بدأ ينزل على كاهلى الى أن كانت ليلة الوصال شعرت كأنما الحمل تركز واستقر وقد التوى عاتقى الضعيف تحت كلكله المهبط .

مشيت الى المحطة القاها ، وكان لقاء فيـه شىء من الحرارة بعثته هى من الأتون الملتهب بين جوانحها . تعانقنا ، وما فى ذلك من نكر ، فالأم غير محظور أن تعانق ابنها — والجدة سائغ عناقها وتقبيلها لحفيدها على مرأى ومسمع من الناس ، وحملت حقيبتها الصغيرة ، ومضيت جانبها أصوغ لها عبارات الترحيب والتأهيل وتردها لى عبارات هيام وغرام .

واجتزنا ساحة المحطة فراجت السكرة

أحفاد وزوج ونصف زوج . لأن زوج ابنتها مشاول فى جنبه الأيمن . ولكن مالنا ولهم ، سننام والسلام ، نطردهم وننام ، وأنفهم لاصق بالرغام !

وعجبت من هذا التوحش والاستبداد ، وملت اليها أضرب على الوتر الحساس ، اتقاء لمعركة تنشب بينها وبين تلك التى تزعمها ابنة عم زوجة والد ابنة خالتها ...

وأفهمتها أننا لا يمكننا أن نتمتع كما نتمنى بحبنا الأبدى الأزلى ، ولا يمكن أن نشفى نهمنا من القبل والعناق إلا بمبيتنا فى الفندق . وما زلت بها حتى خضعت لمشيئتى مرجئة المبيت عند قريبتها المزعومة الى ليلة أخرى . ورضيت أنا منتظراً من الله ، الذى يجيب المضطر اذا دعاه ، حلا .

***

قيدنا اسمنا فى سجل الفندق على أننا «خالة وابن اختها» فما ينتظر أن تكون غير ذلك . ولا أدرى لماذا عمينا ولم نقيد (أم وابنها!) تناولنا العشاء ، وتناولى أنا للعشاء على المجاز ، فما عرفت له طعما ، ولا أحسست له حلاوة أو مرارة . انما كنت أشيع اللقمة الى فمى وأذهل عنها دون أن أمضغها ، وأشيع لها غيرها حتى يكظ فمى ، فأكاد أختنق ، وأنتبه فاذا بها لاتنفك تتكلم باسمة ابتسامة الظفر والسرور ، وأنا كأنى فى بحران . وماذا تنتظر من شاب لم يغب عن منزل والده ليلة واحدة ، ولم ير من الفنادق الاعناوينها المعلقة فى واجهاتها ! وهاهو سيبيت فيها — بعيداً عن بيته — وكيف ؟ مع امرأة : لينها كانت أمه ! ولكنها كانتها وزيادة . نعم كانتها وكانت صبية فى وقت واحد !

وفرغنا من الطعام ونفسى يضيق كأنما أتوقع كارثة ، وأغلقت الابواب وتلمسنا النور لنطفئه فلم نجد الزر إذ كان خارجا .

كان بالغرفة سريران مابدأت صاحبتى تنام على أحدهما حتى خانته قوته . وسقطت ألواح الخشب وخرت صاحبتى فوقها . قامت تلعن وقد أحدثت ضجة لفتت أنظار الخدم فأحسسنا بهم يتجسسون أمام الغرفة . فأصلحنا من أمر السرير وعدنا الى النوم .

وماهى الانشوة كادت تسلمنا الى سكرة كبيرة حتى أطارتها من رأسنا قرعة عنيفة على الباب وصوت خشن يقول افتح !

عادت المخاوف العازبة وطار الاطمئنان الطارىء وغاضت السعادة المخيمة ، ونحل الذعر والهلم . وفتحت الباب .

رأيت رجلا طويل القامة حاد النظرات تلوح عليه الشراسة والقسوة ، عرفت انه ليس الخادم ولكنه صاحب الفندق ، ابتدرنى بقوله :

— ماهذه المرأة التى معك ؟

— قلت — خالتى !

قال — تكذب ! — وماذا تصنعان ! انها مومس وانك ولد مفسود ، وهذا الفندق ليس مأوى لأمثالكما ، أأدعو البوليس الآن ؟!

وارتفعت يده حتى حاذت رأسه وهى مبسوطة الكف والاصابع وهوى بها على صدغى ...

الجمية ! يصفعنى الخنزير ! أى جزاء يجب أن يحل به غير اللطم المتدارك أمسك به وجهه وقفاه ، والدفع بجسمه الغليظ لأسقطه من نافذة قريبة فى فناء الفندق يهوى فيها على أم رأسه وأبيه أيضا ؟ جالت تلك الخواطر فى رأسى وقلبى الثائر يلتهب من أثر الصدمة وصممت بالتنفيذ وأنا الاحمق المندفع فى مثل تلك المواقف . ولكنها كانت كوميض البرق ، وطار فكرى الى النتائج التى لابد حادثة بعد ذلك وماسيذاع من أمرى ويشاع عنى ... اللعنة ! غمغمتها وأنا أصر على أنيابى ، وأكبت غيظى وأجاهد لأتكلم وأدفع التهمة بقدر المستطاع . ولكننى لم أستطع أن أخرج من فمى الا كلمات مقتضبة لامعنى لها ورأيت الرجل يعطينى ظهره ويمضى . . واذا بى أمام الخادم الذى أقبل يخبث يهدىء روعى ويتملقنى كأنما ليس هو الذى تجسس وتبصص ووشى الى صاحب الفندق . وكدت أصفعه ولكنى تدربت فى تلك اللحظة على رسم ابتسامة صفراء على فمى ازاء ابتسامته . ورجوته أن يدلنى على غرفة أخرى لأنى لن أمكث بعد الآن مع صاحبتى ، التى كانت على رغم شجاعتها تنتفض وتصطك أسنانها وجلا ورعبا ، راجية إياى ألا أفارقها . ولا أدرى أين إذن الثيران والخيول التى كانت تصرعها البطلة وتذلل جماحها ...

خرجت الى الغرفة التى دلنى عليها الخادم الخبيث والابتسامة الخبيثة السافلة لا تفارق فمه المشوه الحقير غير مستمع الى رجاء صاحبتى الفاضلة التى ما رأت اصرارى ومضيى عنها أغلقت الباب واستسلمت الى أمر الله .

وبالطبع لم يغمض لى جفن وقلبى واجف واجف حائر : كيف أتخلص من هذا المأزق . ورجعت على نفسى ألومها : أو ضاقت بى الدنيا ولم أجد إلا ذلك الفندق الملعون الذى لا يزال صاحبه يأخذ نفسه بالشرف والاخلاق . والمدينة مكظوظة بفنادق أصحابها من الظرف والكياسة بحيث لا يزعجون المغرمين أمثالى والمغرمات أمثال السيدة المصونة !

ومر زمن لا أعرف قدره وانما أحسست أنه عمر سيدنا نوح أو يزيد ، لم أسمع فيه إلا أنفاساً تترددهى أنفاس الخادم الذى لاحظت أنه يتمشى فى الصالة لا ليتنزه بالطبع ، وانما ليراقبنا .

سمعت نقراً على باب غرفة صاحبتى ، وسمعت صوتها يقول من الطارق ، واذا بى أسمع الخادم يذكر اسمى مقلداً صوتى .

انفتح الباب وارتد بسرعة ارتفع لها صوت الخادم بآهة ألم لأن الباب صدمه فى وجهه فخرمه ، ولكنه كان وقحا فأحسست به يقتحم الغرفة عليها ويحاول اغتصابها لانه ظنها مومسا هين السهل أن ينالها ، وسمعتها تصرخ مستغيثة .

ولو أن رصاصة اخترقت صماخ أذنى وقت ذاك لكان وقعها أهون على وأقل ألما . ولكنها لم تكن رصاصة بل صوت امرأة تحت حمايتى يقتحم غرفتها خادم حقير محاولا الاعتداء عليها وأنا لا أملك سحقه ومحق رأسه !! أى ذلة تلك وأى عار !! أتحملها وأحطم وجه هذا الفضولى المتوحش ؟! وأنه عاقبة تلك التى ستكون بعد [illegible]

وأبى يعلم ، وعائلتى ، والمصلحة التى أعمل بها ، وبالاختصار سقوط لا قيام بعده ؟.. أتدرك أنت حال المشرف على هوة يكاد يتردى فيها ، وماهو بمستطيع أن يمنع نفسه من هذا التردى حتى ولو بالصياح ؟!

لقد كنته أنا فى تلك اللحظة وتخشب جسمى من هول التأثر والثورة العصبية التى اهتاجها الموقف فى نفسى وحاولت كتمانها ، فكنت كلى آذانا تصغى لها ... دون أن أقوى على الحراك .

سكتت صاحبتى عن الصراخ وسمعت كفها الخفيف الظريف يغنى ويغرد على خد الخادم المهجم وسمعته يهرول متأوهاً مهزوما .

وسمعت أصواتا من مختلف الغرف استيقظت على الجلبة وصاحبتى تقص عليهم خبر تهجم الخادم عليها وهم يبدون نفورهم من فعله ويبدون ارتياحهم لما ناله من يدها المفتولة من ضربات طارت بطائفة صالحة من أسنانه وخبطت الاعضاء البارزة فى وجهه كأنفه وعينيه وشاربه الذى ترك نصفه بيدها وراح يعدو طالبا السلامة . .

وساد صمت رهيب سمعت بعده صوت عربات الامنيبوس فى الشارع ففتحت عينى فرأيت الضوء يبشر بالنهار ، فسحبت نفسى برفق ومررت بصاحبتى فاستوت فى هدوء واتئاد ، وقد أبت إلا أن تودع الخادم بركلة من قدمها جعلته يتدحرج الى أسفل السلم ويرجع منهزما كالكلب الذليل ، لأن صاحبتى لم تدخر شيئا من قوتها فى مصارعة الثيران ، إلا وأنها اياه فى الدرس القاسى الذى لقنته له . وقد كان الرجل يرتجف خائفا منها لئلا تقتله كالكلب الاجرب !

***

واحتوانا الشارع ونحن لا نكاد نصدق ، فمددت يدى اليها أقول :

أستودعك الله يا صديقتى

قالت فى جفاء :

— الى اللقاء ! ان شئت .

قلت — ان شئت أنا ؟ ؟! بل ان شاء الله ! ولا أظنه فاعلا !

ورأيتها بعد عدة أعوام تصطحب رجلا فسلمت على ضاحكة ، وهى تقول :—

— كيف صحتك الآن ؟ !

قلت — لقد شفيت ولله الحمد ، وأنا أشير الى الرجل الذى معها بطرفى : ولكن يظهر أن «المرض» عاودك ثانية . فأنى ألحظه [illegible]

فقهقهت قائلة : —

— كلا ! ولله الحمد ، وأشارت الى [illegible] كأنما تقدمه لى :

— حضرته زوجى ...

أمينة

الكتاب المصرى الابيض

(بقية المنشور على صفحة ١٠)

ومما لاريب فيه أن ستمس الحاجة لادخال تغييرات شتى على بعض النقط التفصيلية وسيشتغل الخبراء بالمناقشة فى هذه النقط . على أن هناك بعض التعديلات أرى انها ضرورية على كل حال وأود بهذه المناسبة بيانها لدولتكم :

قد يكون من المتعذر على بعض الدول أن توافق على نقل كافة قضايا رعاياها الخاصة بالاحوال الشخصية الى المحاكم المختلطة . ففى هذه الاحوال يكون النقل اختياريا ، ويجب أن يبقى الاختصاص فى مثل هذه القضايا للسلطات القنصلية مالم يقم الاتفاق بين الحكومة المصرية والحكومة صاحبة الشأن على نقل هذا الاختصاص الى المحاكم المختلطة . وأتوقع الموافقة من جانبنا على أن تختص المحاكم المختلطة بالنظر فى قضايا الاحوال الشخصية التى يكون للرعايا البريطانيين صالح فيها .

وترى حكومة حضرة صاحب الجلالة البريطانية أن من الضرورى أن يحاكم المصريون المتهمون بجرائم سياسية ضد الاجانب أمام المحاكم المختلطة وتجنبا لصعوبة الفصل فى أى مسألة معينة فيما اذا كانت الجريمة سياسية أو غير سياسية يجب أن يوضع نص يقرر أنه كلما وجد لدى النائب العمومى أمام المحاكم المختلطة أسباب للاعتقاد بأن الجريمة المنسوبة الى مصرى هى جريمة سياسية فتكون القضية من اختصاص تلك المحاكم وتنظر فيها بناء على ذلك .

وفى حالة العفو أو التخفيف من عقوبات صادرة على الاجانب تؤلف لجنة صغيرة يناط بها ابداء الرأى الذى يبنى عليه استعمال حق الملك فى العفو ، ويكون تأليفها من وزير الحقانية والمستشار القضائى وشخص ثالث ، ويكون لهذه اللجنة نفسها أن تبدى رأيها للملك فيما يختص بتنفيذ عقوبات الاعدام الصادرة على الاجانب فى القطر المصرى .

والمتبع الآن هو انه من الضرورى ، لجعل التشريع المصرى منطبقا على رعايا الدول صاحبة الامتيازات فى القطر المصرى ، أن توافق الدول أو الجمعية العمومية للمحاكم المختلطة عليه . غير انه يجب توسيع سلطة الجمعية المذكورة من هذه الناحية بحيث تتناول التشريع المصرى أجمعه الا ما تعلق منه بتشكيل المحاكم المختلطة ذاتها او باختصاصها . ولما كان هذا النوع من التشريع من شأنه أن يعدل ماهو فى الواقع شروط اتفاقية عقدت بين مصر والدول فلاينبغى أن ينفذ قبل مصادقة الدول عليه .

وسيستدعى توسيع اختصاص المحاكم المختلطة فى مواد العقوبات اعداد قانون جديد للتحقيقات الجنائية واصداره . وفى مشاريع القوانين التى وضعت سنة ١٩٢٠ جملة نصوص ذات أهمية فى هذا الموضوع (من المادة ١٠ الى المادة ٢٧ من القانون رقم ٢) . ولاريب فى أن دولتكم توافقون على أن قانون تحقيق الجنايات الجديد لا ينبغى أن ينحرف عن المبادىء الواردة فى المواد المذكورة . وهنالك مسائل أخرى لاغنى عن الاتفاق عليها بين الحكومة المصرية والحكومة صاحب الجلالة [illegible]

وأولى هذه المسائل هى تعريف كلمة «أجنبى» وذلك فيما يتعلق بالتوسيع المقترح لاختصاص المحاكم المختلطة ، وقد فهمت من دولتكم أن القوانين التى تطبقها المحاكم الاهلية تخضع لقضائها كل شخص فى مصر غير الذين لايخضعون له بمقتضى القوانين أو المعاهدات أو العادات المرعية . وانى لمستعد لقبول هذا المبدأ ، على شرط أن يكون مفهوما أن جميع الاجانب الذين كانوا فى الماضى يتمتعون بنظام الامتيازات يكونون خاضعين لقضاء المحاكم المختلطة بصرف النظر عما يكون قد وقع بعد حرب سنة ١٩١٤ الى ١٩١٨ من التغييرات فى السيادة .

ومن جانب آخر فان المستشار القضائى يضع نفسه تحت تصرف الحكومة المصرية فيما يتعلق بالمسائل الخاصة باداء القضاء فى القضايا التى يكون لاجنبى فيها أيا كان مصلحة لا فيما يتعلق فقط بالمسائل التى تكون فيها مصلحة لاجنبى خاضع لقضاء المحاكم المختلطة .

أما المسألة الثانية فزيادة عدد موظفى المحاكم المختلطة الزيادة التى يستدعيها التوسيع المقترح لاختصاصها . ومن باب الاحتياط الاختصاصات الجديدة للنائب العام والموظفون الذين سيحتاج اليهم للتمكن من القيام بواجبات الوظيفة على وجه مرضى . وبطبيعة الحال سيرجع الى المستشار القضائى لاستشارته وتعيين القضاة الاجانب فى المحاكم المختلطة والاعضاء الاجانب فى نياباتها .

المذكرة المصرية

ابلاغ بتلقى ماتقدم

مشروع (ب)

ان صاحب الجلالة ملك مصر

وصاحب الجلالة ملك بريطانيا العظمى وارلندا والاملاك البريطانية فيما وراء البحار وأمبراطور الهند .

حرصا على توثيق عرى الصداقة وحرصاً على دوام حسن التفاهم بين بلديهما وعلى التعاون فيما بينهما على تنفيذ واجباتهما الدولية فى حفظ سلام العالم .

وبما انه ينبغى لتحقيق هذه الغاية أن يتفق البلدان على حل المسائل الاربع المعلقة التى كانت موضوع احتفاظ حكومة حضرة صاحب الجلالة البريطانية فى تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢

ونظرا لأن خير وسيلة لذلك هى عقد معاهدة صداقة وتحالف تيسر لهما تأمين الامتين واصلحتهما التعاون الفعلى فى حفظ السلام وفى القيام على الدفاع عن أراضى البلدين

قد اتفقا على عقد معاهدة لهذا الغرض وعينا المفوضين عنهما فى ذلك وهم :

(١) صاحب الجلالة ملك مصر
(أسماء المفوضين)

(٢) وصاحب الجلالة ملك بريطانيا العظمى الخ عن بريطانيا العظمى وارلندا الشمالية
(أسماء المفوضين)

وبعد ان تبادلوا أوراق التفويض التى وجدت ... قد اتفقوا على ما يأتى :

مادة ١ — ينتهى احتلال مصر العسكرى بواسطة قوات حضرة صاحب الجلالة البريطانية

مادة ٢ — [illegible]

مادة ٣ — بما ان مصر حريصة على ان تصبح عضوا فى جمعية الامم فستقدم طلبا للاندماج فيها بحسب الشروط المقررة فى المادة الاولى من ميثاق الجمعية ، ويتعهد صاحب الجلالة البريطانية بتعضيدها فى ذلك الطلب .

مادة ٤ — اذا أفضى خلاف قائم بين احد الطرفين المتعاقدين ودولة اخرى الى حالة فيها خطر قطع العلاقات مع تلك الدولة يتبادل الطرفان الرأى لحل ذلك الخلاف بالوسائل السلمية طبقا لأحكام ميثاق جمعية الامم او لاى تعهدات دولية اخرى تكون منطبقة على الحالة القائمة .

مادة ٥ — يتعهد كل من الطرفين المتعاقدين بالا يتخذ فى البلاد الاجنبية موقفا يتنافى مع المحالفة أو يحدث صعوبات للطرف الاخر . وعملا بهذا التعهد لايعارض أى الطرفين سياسة الاخر فى البلاد الاجنبية أو يبرم مع دولة أخرى أى اتفاق سياسى يكون مضراً بمصالح الطرف الاخر .

مادة ٦ — يعترف صاحب الجلالة البريطانية بان الحكومة المصرية هى المسئولة منذ الآن عن أرواح الاجانب وأموالهم ، ويتولى صاحب الجلالة ملك مصر تنفيذ واجباته فى هذا الصدد .

مادة ٧ — اذا اشتبك احد الطرفين المتعاقدين فى حرب بالرغم من احكام المادة الرابعة فان الطرف الاخر مع مراعاة أحكام المادة الرابعة عشرة يقوم فى الحال بانجاده بصفة حليف . وعلى وجه الخصوص يبذل صاحب الجلالة ملك مصر لصاحب الجلالة البريطانية فى حالة الحرب أو خطر الحرب كل مافى وسعه من التسهيلات والمساعدات فى الاراضى المصرية ، ويدخل فى ذلك استخدام موانيه ومطاراته وطرق المواصلات

مادة ٨ — نظراً لاستحسان الوحدة فى التدريب والاساليب بين الجيشين المصرى والبريطانى ، يتعهد صاحب الجلالة ملك مصر بانه اذا رأى ضرورة للاستعانة بمعلمين عسكريين من الاجانب يختارهم من بين الرعايا البريطانيين .

مادة ٩ — تسهيلا وتحقيقاً لقيام صاحب الجلالة البريطانية بحماية قناة السويس باعتبارها طريقاً أساسيا للمواصلات بين الاجزاء المختلفة للامبراطورية البريطانية ، يرخص صاحب الجلالة ملك مصر لصاحب الجلالة البريطانية بأن يضع فى الاراضى المصرية فى الاماكن التى يتفق عليها بعد ، شرق خط الطول ٣٢ شرقى ، من القوات المسلحة ماترى ضرورته لهذا الغرض . ولايكون لوجود تلك القوات مطلقا صفة الاحتلال ولا يخل بأى وجه من الوجوه بحقوق السيادة المصرية

مادة ١٠ — نظرا لما بين البلدين من روابط الصداقة والمحالفة التى توسسها هذه المعاهدة تحمل الحكومة المصرية القاعدة فى تعيين الموظفين الاجانب أن تعينهم من البريطانيين

مادة ١١ — يعترف صاحب الجلالة البريطانية بان نظام الامتيازات القائم بمصر الآن أصبح لا يلائم روح العصر والحالة الحاضرة لمصر ، ولذلك يتعهد جلالته بان يبذل كل ماله من نفوذ لدى الدول ذوات الامتيازات فى مصر لتحقيق ... شروط التى تؤمن المصالح المشروعة للاجانب على نقل اختصاص المحاكم القنصلية الى المحاكم المختلطة وعلى تطبيق التشريع [illegible]

مادة ١٢ — نظراً لما بين الطرفين المتعاقدين من روابط الصداقة والمحالفة التى تؤسسها هذه المعاهدة يمثل صاحب الجلالة البريطانية فى بلاط صاحب الجلالة ملك مصر سفير يعتمد حسب الاصول المرعية ويخص صاحب الجلالة ملك مصر ممثل صاحب الجلالة البريطانية بأعلى مراتب التمثيل فى البلاط .

ويمثل صاحب الجلالة ملك مصر فى بلاط سانت جيمس سفير

مادة ١٣ — مع الاحتفاظ بحرية ابرام اتفاقات جديدة فى المستقبل معدلة لاتفاقات سنة ١٨٩٩ يتفق الطرفان المتعاقدان على أن يكون المركز فى السودان هو المركز الذى ينشأ من الاتفاقات المذكورة . وبناء على ذلك يظل الحاكم العام يباشر ، بالنيابة عن الطرفين المتعاقدين ، السلطات التى خولتها إياه الاتفاقات المشار اليها وعند ماتصبح هذه المعاهدة نافذة ترابط أورطة مصرية فى السودان

مادة ١٤ — لاتخل أحكام هذه المعاهدة بأى وجه من الوجوه بالحقوق والتعهدات التى تنشأ أو يجوز أن تنشأ لكل من الطرفين المتعاقدين أو عليه من ميثاق جمعية الامم أو من ميثاق نبذ الحرب الموقع فى باريس فى ٢٧ أغسطس سنة ١٩٢٨

مادة ١٥ — اتفق الطرفان المتعاقدان على ان كل خلاف فى تطبيق احكام هذه المعاهدة او تأويلها لايتيسر حله بالمفاوضة بينهما مباشرة يكون الفصل فيه طبقاً لاحكام ميثاق جمعية الامم .

مادة ١٦ — يصدق على هذه المعاهدة ويعمل بها بمجرد تبادل التصديقين ويجرى هذا التبادل فى أسرع ما يمكن . وتسجل المعاهدة فى جمعية الامم وفقاً لاحكام الميثاق

ويجوز بعد انقضاء خمس وعشرين سنة من العمل بهذه المعاهدة تعديل أحكامها بحسب ما يرى ملائما فى الظروف التى تكون جارية إذ ذاك وذلك باتفاق بين الطرفين المتعاقدين

واشهاداً بما تقدم وقع (المفوضون) هذه المعاهدة الخ

الجيش

المذكرة البريطانية

حضرة صاحب الدولة

فى سياق مناقشاتنا فى نصوص المعاهدة التى وقعناها اليوم عرضت بعض المسائل العسكرية وكان لها أوفر قسط من العناية والبحث .

وتنقسم هذه المسائل بطبيعتها الى قسمين : أولهما — تلك المسائل المتعلقة بالقوات المصرية التى يجوز — اذا تحققت لسوء الحظ الظروف المشار اليها فى صدر المادة السابعة من المعاهدة — أن تدعى لمعاونة القوات البريطانية الحليفة معاونة فعلية . وثانيهما — تلك المسائل الخاصة بالقوات البريطانية التى سترابط عملا بالمادة التاسعة من المعاهدة فى جوار قناة السويس توفيراً لاسباب الدفاع عن ذلك الشريان الحيوى فى مواصلات الامبراطورية البريطانية .

أما عن القسم الأول فقد اتفقت دولتكم معى على ما يأتى :

١ — تلغى الترتيبات الحالية التى بمقتضاها يباشر المفتش العام ... [illegible]

٢ — على أن الحكومة المصرية ، أخذا بحكم المادة الثامنة من المعاهدة ، ترغب فى أن تنتفع بمشورة بعثة عسكرية بريطانية. وتتعهد حكومة صاحب الجلالة البريطانية فى المملكة المتحدة أن توافى مصر بتلك البعثة . وترسل الحكومة المصرية من يراد تدريبهم فى الخارج من رجال القوات المصرية الى بريطانيا العظمى وحدها ، وتتعهد حكومة صاحب الجلالة البريطانية من جانبها بان تتقبل كل من توفدهم الحكومة المصرية الى بريطانيا العظمى لهذا الغرض .

٣ — لمصلحة التعاون الوثيق المشار اليه آنفا لا يختلف طراز أسلحة القوات المصرية ومهماتها عن طراز أسلحة القوات البريطانية ومهماتها . وتتعهد حكومة صاحب الجلالة البريطانية بان تبذل وساطتها لتسهيل توريد تلك الاسلحة والمهمات من بريطانيا العظمى كلما طلبت منها الحكومة المصرية ذلك

أما فيما يختص بالقوات البريطانية المشار اليها فى المادة التاسعة من المعاهدة فقد اتفقنا على ما يأتى :

١ — تقدم الحكومة المصرية مجانا لحكومة صاحب الجلالة البريطانية فى الاماكن التى يتفق عليها بعد أراضى ومبانى تعادل الاراضى والمبانى التى تشغلها الان القوات البريطانية بمصر . وبمجرد اتمام هذه المبانى الجديدة تنتقل اليها تلك القوات وتسلم الاراضى والثكنات الخ .. التى أخلتها للحكومة المصرية

٢ — مع مراعاة ما قد يتفق عليه فى المستقبل بين الحكومتين من التعديلات يظل قائما ما تتمتع به الان القوات البريطانية بمصر من المزايا والامتيازات فى أمور الاختصاص والرسوم .

٣ — الى حين تتفق الحكومتان على غير ذلك تحظر الحكومة المصرية الطيران فوق الاراضى الواقعة على جانبى قناة السويس وعلى مسافة عشرين كيلومتراً منها على أن هذا الحظر لا يسرى على قوات الحكومتين ولا على خدمات الطيران التى تقوم بها هيئات مصرية حقا ولا على خدمات الطيران القائمة بمقتضى الاتفاقات الحالية .

وقد اتفقنا أيضا على ان الحكومة المصرية تبذل كل التسهيلات اللازمة لطيارات القوة الهوائية البريطانية فى طريقها من المطارات التى وضعت طبقا للمادة التاسعة من المعاهدة تحت تصرف القوات البريطانية والى تلك المطارات. وتبذل حكومة صاحب الجلالة البريطانية فى المملكة المتحدة التسهيلات المناسبة للطيارات العسكرية المصرية فى الاراضى الواقعة تحت اشرافها .

المذكرة المصرية

حضرة صاحب السعادة

أتشرف بابلاغكم بأنى تلقيت مذكرتكم بتاريخ اليوم الخاصة بالشئون العسكرية وأؤيد لكم أن ما جاء فيها صورة صحيحة لما اتفقنا عليه

المستشاران

المذكرة المصرية

حضرة صاحب السعادة

تعلمون أن الحكومة المصرية أخذت على نفسها بها ستكون أشق وأبعد مدى بسبب التعديلات الجوهرية فى نظام الامتيازات الملحوظة فى المعاهدة التى وقعناها اليوم .

وعندى أنه لتنفيذ ذلك البرنامج من الاصلاحات على وجه مرض ستحتاج الحكومة الى أفضل ما يمكن الحصول عليه من المشورة . لذلك انتهز هذه الفرصة لأحيطكم علما بأن الحكومة المصرية تنوى أن تستبقى فى خدمتها، فى الفترة اللازمة لانجاز الاصلاحات المشار اليها، اثنين من الرعايا البريطانيين فى وظيفة مستشار مالى للحكومة المصرية ومستشار قضائى لوزارة الحقانية .

وتختار الحكومة المصرية من يشغل هاتين الوظيفتين بعد شاغليهما الحاليين بالاتفاق مع حكومة حضرة صاحب الجلالة البريطانية فى المملكة المتحدة وتعينهما الحكومة المصرية ويكون تعيينهما باعتبارهما موظفين مصريين

المذكرة البريطانية

حضرة صاحب الدولة

أتشرف بابلاغكم بانى تلقيت مذكرتكم بتاريخ اليوم الخاصة بوظيفتى المستشار المالى للحكومة المصرية والمستشار القضائى لوزارة الحقانية وأحطت علما مع الارتياح بما ذكرتموه بشأن نيات الحكومة المصرية

البوليس

المذكرة المصرية

حضرة صاحب السعادة

أنتهز هذه الفرصة لاحاطتكم علما ان الحكومة المصرية تنوى الغاء الادارة الاوربية فى قسم الامن العام على أنه تنفيذاً للتعهد المشار اليه فى المادة السادسة من المعاهدة التى وقعناها اليوم، ستستبقى لمدة خمس سنين على الاقل من العمل بالمعاهدة عنصرا أوربيا فى بوليس المدن يظل تلك المدة تحت رياسة ضباط بريطانيين

وأود ان أتبين ما اذا كانت الحكومة المصرية تستطيع أن تعتمد على معونة حكومة صاحب الجلالة البريطانية اذا شاءت فى المستقبل ان تعيد تنظيم قوات بوليسها

المذكرة البريطانية

حضرة صاحب الدولة

تثبت حكومة صاحب الجلالة البريطانية فى المملكة المتحدة مع الارتياح ان الحكومة المصرية تنفيذاً للتعهد المشار اليه فى المادة السادسة من المعاهدة وبعد الغاء الادارة الاوربية ستستبقى لمدة خمس سنين على الاقل من العمل بالمعاهدة عنصرا أوربيا فى بوليس المدن يظل تلك المدة تحت رياسة ضباط بريطانيين

واذا شاءت الحكومة المصرية فى وقت مستقبل ان تعيد تنظيم قوات بوليسها فان حكومة صاحب الجلالة البريطانية تكون سعيدة أن تعيرها خبراء فرادى أو بعثة بوليس كما فعلت ذلك بالنسبة لبلاد أخرى كانت راغبة أيضا فى تنظيم بوليسها

الامتيازات

المذكرة البريطانية

حضرة صاحب الدولة

جاء فى المادة الحادية عشرة من مشروع الامتيازات القائم بمصر الان اصبح لا يلائم روح العصر والحالة الحاضرة لمصر

ولذلك يتعهد جلالته بأن يبذل كل ما له من نفوذ لدى الدول ذوات الامتياز فى مصر للحصول ، بالشروط التى تؤمن المصالح المشروعة للاجانب ، على نقل اختصاص المحاكم القنصلية الى المحاكم المختلطة وعلى تطبيق التشريع المصرى على الاجانب »

وقد يكون من المفيد ان ابين لدولتكم الفوائد الكلية التى يمكن بحسب ما اراه ان يترسمها هذا الاصلاح ولذلك لانى مستعد لتأييد جهود الحكومة المصرية فى اجراء تسويات مع الدول على اساس هذه القواعد حين تصبح المعاهدة نافذة

وقد كان المرجو فى سنة ١٩٢٠ . وقتما كانت المفاوضات دائرة بين الحكومتين البريطانية والمصرية، اجراء تسويات تحمل الدول الاجنبية على اغلاق المحاكم القنصلية فى مصر . لذلك وضعت فى السنة المذكورة مشروعات قوانين بتوسيع اختصاص المحاكم المختلطة لتتمكن من اداء القضاء الذى تقوم به المحاكم القنصلية الان

وانى لمستعد انا قبل اتخاذ هذه المشروعات اساسا للاصلاح فى نظام الامتيازات اذا وافقت الدول الاجنبية على نقل قضاء محاكمها القنصلية الى المحاكم المختلطة .

ومما لا ريب فيه أن ستمس الحاجة لادخال تغييرات شتى على بعض النقط التفصيلية وسيشتغل الخبراء بالمناقشة فى هذه النقط. على أن هناك بعض التعديلات ارى انها ضرورية على كل حال واود بهذه المناسبة بيانها لدولتكم

قد يكون من المتعذر على بعض الدول أن توافق على نقل كافة قضايا رعاياها الخاصة بالاحوال الشخصية الى المحاكم المختلطة . ففى هذه الاحوال يكون النقل اختياريا. ويجب أن يبقى الاختصاص فى مثل هذه القضايا للسلطات القنصلية مالم يتم الاتفاق بين الحكومة المصرية والحكومة صاحبة الشأن على نقل هذا الاختصاص الى المحاكم المختلطة. واتوقع الموافقة من جانبنا على أن تختص المحاكم المختلطة بالنظر فى قضايا الاحوال الشخصية التى يكون للرعايا البريطانيين صالح فيها

وفى حالة العفو عن عقوبات صادرة على الاجانب أو تخفيفها كما فيما يتعلق بتنفيذ عقوبات الاعدام الصادرة على الاجانب يستشير وزير الحقانية المستشار القضائى — مادام ذلك الموظف باقيا فى خدمة الحكومة المصرية — قبل عرض رأيه على جلالة الملك

وانى لاعترف بأن الوجه الذى يطبق به نظام الامتيازات الآن فيما يتعلق بسلطة الحكومة فى التشريع بالنسبة للاجانب أو فى فرض الضرائب عليهم لم يعد يتفق مع الظروف الحاضرة . لذلك فانى مستعد للموافقة على أن يجرى العمل فى المستقبل على ان الجمعية العمومية للمحاكم المختلطة هى التى تتولى أى موافقة تكون ضرورية قبل أن يصبح التشريع المصرى منطبقا على الاجانب ويدخل فى ذلك التشريع التشريع المالى. وانما يستثنى التشريع الخاص بالتشكيل واختصاص تلك المحاكم فهذا لا يعدل الا بعد موافقة الدول. ويجب أن المبادىء المأخوذ بها عموما فى التشريعات الحديثة من حيث انطباقها على الاجانب . وفيما يمتاز بالتشريع المالى على وجه الخصوص تنحصر مهمة الجمعية العمومية على الاستيثاق من ان التشريع لا يتضمن تمييزاً غير عادل ضد الاجانب أو الشركات الاجنبية

وسيستدعى توسيع اختصاص المحاكم المختلطة فى المواد الجنائية اعداد قانون جديد للتحقيقات الجنائية واصداره . وفى مشاريع القوانين التى وضعت فى سنة ١٩٢٠ جملة نصوص ذات اهمية فى هذا الموضوع (من المادة ١٠ الى المادة ٢٧ من القانون رقم ٢ طبعة ١٨ ابريل سنة ١٩٢٠) ولا ريب فى ان دولتكم توافقون على ان قانون تحقيق الجنايات الجديد لا ينبغى أن ينحرف عن المبادىء المقررة فى المواد المذكورة

وهناك مسائل اخرى لا مندوحة عن الاتفاق عليها بين الحكومة المصرية وحكومة صاحب الجلالة البريطانية فى المملكة المتحدة . على انى لا اجد الآن ضرورة لان أزيد على الاشارة اليها

وأولى هذه المسائل هى تعريف كلمة « اجنبى » وذلك فيما يتعلق بالتوسيع المقترح لاختصاص المحاكم المختلطة . وقد فهمت من دولتكم ان القوانين التى تطبقها المحاكم الاهلية تخضع لقضائها كل شخص فى مصر غير الذين لا يخضعون له بمقتضى القوانين أو المعاهدات أو العادات المرعية، وانى لمستعد لقبول هذا المبدأ على شرط ان يكون مفهوما ان الاجانب الذين كانوا فى الماضى يتمتعون بنظام الامتيازات يكونون خاضعين لقضاء المحاكم المختلطة بصرف النظر عما يكون قد وقع بعد حرب سنة ١٩١٤ ـ ١٩١٨ من التغييرات فى السيادة

أما المسألة الثانية فزيادة عدد موظفى المحاكم المختلطة الزيادة التى يستدعيها التوسيع المقترح لاختصاصها ، ويدخل فى هذه المسألة البحث فى أمر الاختصاصات الجديدة للنائب العام والموظفين الذين سيحتاج اليهم للتمكن من القيام بواجبات وظيفته على وجه مرض

ويستشار المستشار القضائى — ما دام ذلك الموظف باقيا فى الخدمة — فى [illegible] القضاة الاجانب فى المحاكم المختلطة و[illegible] النيابة الاجانب اذا كان سيعين أحد [illegible]

المذكرة المصرية

حضرة صاحب السعادة

أتشرف بابلاغكم بأنى تلقيت مذكرتكم بتاريخ اليوم التى تشيرون فيها الى القواعد التى ترى حكومة صاحب الجلالة البريطانية فى المملكة المتحدة انه يحسن أن يجرى اصلاح نظام الامتيازات على مقتضاها والتعديلات التى [illegible] لطرق الى بعض الاعتبارات الخاصة التى لها عندكم شأن واهمية

وانى لسعيد بأن أجيبكم بأن الاعتبارات الخاصة التى تشيرون اليها تتفق مع نيات الحكومة المصرية وان هذه الحكومة [illegible] على وجه العموم مع حكومات صاحب الجلالة البريطانية على القواعد التى تقترحونها لاصلاح نظام الامتيازات على مقتضاها

فى أن يشمل اختصاص المحاكم المختلطة المدنى والجنائى الاجانب الذين كانوا يتمتعون بنظام الامتيازات قبل حرب سنة ١٩١٤ — ١٩١٨ فانه لاشك فى أن الاجانب الذين لا يتمتعون ولم يكونوا تمتعوا بتلك الامتيازات يجب أن يخضعوا لقضاء المحاكم الاهلية

الموظفون الاجانب

المذكرة المصرية

حضرة صاحب السعادة

فى سياق مناقشاتنا بشأن المادة العاشرة من المعاهدة التى وقعناها اليوم كان مفهوما بيننا ان حكومة صاحب الجلالة فى المملكة المتحدة لن تؤول تلك المادة تأويلا ضيقاً غير معقول وان ليس [illegible] ما يخل بحرية الحكومة المصرية فى استخدام موظفين أجانب غير بريطانيين فى الوظائف التى لا يوجد من بين الرعايا البريطانيين من يليق لها

المذكرة البريطانية

حضرة صاحب الدولة

أتشرف بابلاغكم بأنى تلقيت مذكرتكم بتاريخ اليوم بشأن استخدام الموظفين الاجانب وأؤيد ما جاء بها بشأن التفاهم الذى تم بيننا .

الاقليات

المذكرة البريطانية

حضرة صاحب الدولة

أرغب أن أثبت هنا انه لم ير محل للاشارة فى المعاهدة التى وقعناها اليوم الى حماية الاقليات التى ورد ذكرها فى تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ على انه من المسلم به ان هذه المسألة تكون فى المستقبل من شئون الحكومة المصرية وحدها

المذكرة المصرية

حضرة صاحب السعادة

أتشرف بأن أبلغكم انى أحطت علما بما ذكرتم بتاريخ اليوم بشأن الاقليات فى مصر .

السودان

المذكرة البريطانية

حضرة صاحب الدولة

عند ما كنا نتناقش فى المادة الثالثة عشرة من المعاهدة التى وقعناها اليوم أتفقنا على أن دين السودان لمصر يجب أن يبحث فيه الان للوصول فى أمره الى تسوية عادلة .

وكذلك اتفقنا على أن يتولى المناقشة فيه مندوب من وزارة الخزينة البريطانية ومندوب من وزارة المالية المصرية وذلك بمجرد ما تصبح المعاهدة نافذة .

المذكرة المصرية

حضرة صاحب السعادة

رداً على كتاب سعادتكم بتاريخ اليوم أتشرف بأن أؤيد ما تم بيننا من الاتفاق على وجوب بحث دين السودان لمصر بواسطة مندوبين عن الخزانة البريطانية والمالية المصرية سعيا لتسويته تسوية عادلة

المذكرة البريطانية

حضرة صاحب الدولة

يحسن لدى توقيع المعاهدة التى أبرمناها اليوم اثبات الاتفاق الذى انتهينا اليه بشأن الطريقة التى تحمل بها المعاهدات الدولية منطبقة من تلك المعاهدات فلا يبدو بطبيعة الحال ذلك النوع الذى تكون له صفة فنية او انسانية عامة .

ففى الاحوال التى تكون المعاهدة قد وقعتها مصر وبريطانيا العظمى والتى يراد فيها تطبيق المعاهدة على السودان يبدى المندوبون المصريون والبريطانيون فى الوقت المناسب تصريحاً مشتركا بأن توقيعاتهم عن مصر وبريطانيا العظمى يقصد بها جميعا ان تشمل السودان ويدون هذا التصريح على الوجه اللازم

وفى الاحوال التى تحتاج المعاهدة فيها الى تصديق يذكر التصريح المشار اليه ، انه عند ايداع تصديق صاحب الجلالة ملك مصر وصاحب الجلالة البريطانية ، تصبح المعاهدة منطبقة على السودان بحسب الاحكام الواردة بها .

فاذا لم يبد هذا التصريح فلا تكون المعاهدة منطبقة على السودان الا بطريق الانضمام الذى يشار اليه فيما بعد .

وحيث يبدى هذا التصريح لا يكون ثمة محل بعد ذلك لذكر السودان ذكراً خاصاً فى وثائق التصديق.

وفى بعض الاحوال حيث تنص المعاهدة على جواز الانضمام اللاحق وحيث يستحسن ان تطبق تلك المعاهدة على السودان بالطريقة المذكورة فان الانضمام يتم بوثيقة مشتركة يوقعها عن مصر وبريطانيا العظمى اثنان يعينان لهذا الغرض . وتتفق الحكومتان على طريقة ايداع وثائق الانضمام فى كل حالة . ولا محل طبعاً فى مثل هذه الاحوال لأى تصديق .

وفى المؤتمرات الدولية التى يتفاوض فيها فى أمر مثل تلك المعاهدات يظل المندوبون المصريون والبريطانيون فى اتصال بشأن أى عمل يرونه بالاتفاق فيما يتم مرغوبا فيه لصلحة السودان

المذكرة المصرية

حضرة صاحب السعادة

أتشرف بابلاغكم انى تلقيت مذكرتكم بتاريخ اليوم بشأن طريقة تطبيق المعاهدات الدولية التى يراد تطبيقها على السودان وأؤيد ما جاء بها بشأن التفاهم الذى تم بيننا

مشروع (ج)

وزير الخارجية

الكتب المتبادلة بشأن مقترحات لاتفاق انجليزى مصرى

نمرة ١

كتاب من سعادة مستر ا . هندرسون الى حضرة صاحب الدولة محمد باشا محمود

حضرة صاحب الدولة

ان المقترحات المرفقة بهذا وما سيتبادل من المذكرات الايضاحية بشأن التفاصيل التى ستعرضونها دولتكم على البرلمان المصرى هى أقصى ما أستطيع ان أشير على حضرة صاحب الجلالة ببريطانيا العظمى المتحدة وشمال ايرلندا أن تذهب اليه فى رغبتها فى الوصول الى تسوية دائمة شريفة للمسائل المعلقة بين بريطانيا العظمى ومصر . وان من أحب أمانى حكومة جلالته ان يفحص المصريون المخلصون لوطنهم — بلا تمييز بين الاحزاب — هذه المقترحات بروح الصداقة والمسالمة اللتين امتازت بهما محادثاتنا الاخيرة وأن يجدوا فيها أساساً مرضياً للعلاقات المستقبلة بين بلادينا . فاذا كان هذا هو حكم البرلمان المصرى الجديد فأن حكومة جلالته تقوم من جانبها مباشرة بعرض المقترحات على البرلمان لكى تبرم معاهدة للعمل بتلك المقترحات فيصدق عليها

ولى الشرف ان أكون مع أسمى الاحترام

خادمكم المطيع

الامضاء : آرثر هندرسون

فى ٣ اغسطس سنة ١٩٢٩ .

ملحق نمرة ١

مقترحات لاتفاق انجليزى مصرى

١ — ينتهى احتلال مصر العسكرى بواسطة قوات حضرة صاحب الجلالة البريطانية

٢ — تكون محالفة بين الطرفين المتعاقدين تأييداً لما بينهما من الصداقة والتفاهم الودى وحسن العلاقات

٣ — بما ان مصر حريصة على ان تصبح عضواً فى جمعية الامم فستقدم طلبا للاندماج فيها بحسب الشروط المقررة فى المادة الاولى من ميثاق الجمعية ويتعهد صاحب الجلالة البريطانية بتعضيدها فى ذلك الطلب

٤ — اذا أفضى خلاف قائم بين أحد الطرفين المتعاقدين ودولة أخرى الى حالة فيها خطر قطع العلاقات مع تلك الدولة يتبادل الطرفان الرأى لحل ذلك الخلاف بالوسائل السلمية طبقا لاحكام ميثاق جمعية الامم أو لاى تعهدات دولية أخرى تكون منطبقة على الحالة القائمة

٥ — يتعهد كل من الطرفين المتعاقدين بالا يتخذ فى البلاد الاجنبية موقفاً يتنافى مع المحالفة أو يحدث صعوبات للطرف الاخر. وعملا بهذا التعهد لا يعارض أى الطرفين سياسة الاخر فى البلاد الاجنبية أو يبرم مع دولة أخرى أى اتفاق سياسى يكون مضرا بمصالح الطرف الاخر

٦ — يعترف صاحب الجلالة البريطانية بان الحكومة المصرية هى المسؤولة منذ الان عن أرواح الاجانب وأموالهم ويتولى صاحب الجلالة ملك مصر تنفيذ واجباته فى هذا الصدد.

٧ — اذا اشتبك احد الطرفين المتعاقدين فى حرب بالرغم من أحكام الفقرة الرابعة فان الطرف الاخر مع مراعاة أحكام الفقرة الرابعة عشرة يقوم فى الحال بانجاده بصفة حليف. وعلى وجه الخصوص يبذل صاحب الجلالة ملك مصر لصاحب الجلالة البريطانية فى حالة الحرب أو خطر الحرب كل ما فى وسعه من التسهيلات والمساعدات فى الاراضى المصرية، يدخل فى ذلك استخدام موانيه ومطاراته وطرق المواصلات .

٨ — نظراً لاستحسان الوحدة فى التدريب والاساليب بين الجيشين المصرى والبريطانى يتعهد صاحب الجلالة ملك مصر بانه اذا رأى ضرورة للاستعانة بمعلمين عسكريين من الاجانب يختارهم من بين الرعايا البريطانيين .

٩ — تسهيلا وتحقيقا لقيام صاحب الجلالة البريطانية بحماية قناة السويس باعتبارها طريقا أساسيا للمواصلات بين الاجزاء المختلفة للامبراطورية البريطانية يرخص صاحب الجلالة ملك مصر لصاحب الجلالة البريطانية بان يضع فى الاراضى المصرية فى الاماكن التى يتفق عليها بعد، شرقى خط الطول ٣٢ شرق ، من القوات المسلحة ما يرى ضرورته لهذا الغرض ولا يكون لوجود تلك القوات مطلقاً صفة الاحتلال ولا يخل باى وجه من الوجوه بحقوق السيادة المصرية .

١٠ — نظراً لما بين البلدين من روابط الصداقة والمحالفة الملحوظة فى هذه المقترحات تجعل الحكومة المصرية القاعدة فى تعيين الموظفين الاجانب أن تعينهم من الرعايا البريطانيين

١١ — يعترف صاحب الجلالة البريطانية بان نظام الامتيازات القائم بمصر الآن أصبح لا يلائم روح العصر والحالة الحاضرة لمصر

ولذلك يتعهد جلالته بأن يبذل كل ماله من النفوذ لدى الدول ذوات الامتيازات فى مصر للحصول، بالشروط التى تؤمن المصالح المشروعة للاجانب ، على نقل اختصاص المحاكم القنصلية الى المحاكم المختلطة وعلى تطبيق التشريع المصرى على الاجانب

١٢ — نظرا لما بين الطرفين المتعاقدين من روابط الصداقة والمحالفة الملحوظة فى هذه المقترحات يمثل صاحب الجلالة البريطانية فى بلاط صاحب الجلالة ملك مصر سفير معتمد حسب الاصول المرعية، ويخص صاحب الجلالة ملك مصر ممثل صاحب الجلالة البريطانية باعلى مراتب التمثيل فى بلاطه

ويمثل صاحب الجلالة ملك مصر فى بلاط سانت جيمس سفير [illegible]

١٣ ـ مع الاحتفاظ بحرية ابرام اتفاقات جديدة فى المستقبل معدلة لاتفاقات سنة ١٨٩٩ يتفق الطرفان المتعاقدان على أن يكون مركز السودان هو المركز الذى ينشأ من الاتفاقات المذكورة . وبناء على ذلك يظل الحاكم العام يباشر ،بالنيابة عن الطرفين المتعاقدين، السلطات التى خولتها اياه الاتفاقات المشار اليها .

١٤ ـ لاتخل أحكام هذه المقترحات بأى وجه من الوجوه بالحقوق والتعهدات التى تنشأ أو يجوز أن تنشأ لكل من الطرفين المتعاقدين أو عليه من ميثاق جمعية الامم أو من ميثاق نبذ الحرب الموقع فى باريس فى ٢٧ اغسطس سنة ١٩٢٨

١٥ ـ اتفق الطرفان المتعاقدان على أن كل خلاف فى تطبيق احكام هذه المقترحات أو تأويلها لا يتيسر حله بالمفاوضة بينهما مباشرة يكون الفصل فيه طبقا لاحكام ميثاق جمعية الامم .

١٦ ـ يجوز بعد انقضاء خمس وعشرين سنة من العمل بالمعاهدة التى تبنى على المقترحات التى مر ذكرها تعديل أحكامها بحسب مايرى ملائما فى الظروف التى تكون اذ ذاك وذلك باتفاق بين الطرفين المتعاقدين

الجيش

المذكرة البريطانية

حضرة صاحب الدولة

فى سياق مناقشاتنا الاخيرة عرضت بعض المسائل العسكرية وكان لها اوفر قسط من العناية والبحث . وتنقسم هذه المسائل بطبيعتها الى قسمين : أولهما تلك المسائل المتعلقة بالقوات المصرية التى يجوز ـ اذا تحققت لسوء الحظ الظروف المشار اليها فى صدر الفقرة السابعة من المقترحات ـ أن تدعى لمعاونة القوات البريطانية الحليفة معاونة فعلية . وثانيهما ـ تلك المسائل الخاصة بالقوات البريطانية التى سترابط عملا بالفقرة التاسعة من المعاهدة فى جوار قناة السويس توفيراً لأسباب الدفاع عن ذلك الشريان الحيوى فى مواصلات الامبراطورية البريطانية

اما عن القسم الاول فقد اتفقتم دولتكم معى على ما يأتى :

١ ـ تنتهى الترتيبات الحالية التى بمقتضاها يباشر المفتش العام ومن معه اختصاصات معينة، ويسحب الضباط البريطانيون من القوات المصرية

٢ ـ على أن الحكومة المصرية ، أخذاً بحكم الفقرة الثامنة من المقترحات، ترغب فى أن تلتفع بمشورة بعثة عسكرية بريطانية . وتتعهد حكومة صاحب الجلالة البريطانية فى المملكة المتحدة وشمال ارلندا أن توافى مصر بتلك البعثة . وترسل الحكومة المصرية من يراد تدريبهم فى الخارج من رجال القوات المصرية الى بريطانيا العظمى وحدها . وتتعهد حكومة صاحب الجلالة البريطانية من جانبها بأن تقبل كل من توفدهم الحكومة المصرية الى بريطانيا العظمى لهذا الغرض .

٣ ـ لمصلحة التعاون الوثيق المشار اليه آنفا لا يختلف طراز أسلحة القوات المصرية ومهماتها . وتتعهد حكومة صاحب الجلالة البريطانية بأن تبذل وسائلها لتسهيل توريد تلك الاسلحة والمهمات من بريطانيا العظمى كما طلبت منها الحكومة المصرية ذلك.

أما فيما يختص بالقوات البريطانية المشار اليها فى الفقرة التاسعة من المقترحات فقد اتفقنا على ما يأتى :—

١ ـ تقدم الحكومة المصرية مجانا لحكومة صاحب الجلالة البريطانية فى الاماكن التى يتفق عليها بعد، أراضى وثكنات الخ . تعادل الاراضى والثكنات التى تشغلها الان القوات البريطانية بمصر .

وبمجرد اتمام هذه المبانى الجديدة تنتقل اليها تلك القوات وتسلم الاراضى والثكنات الخ التى أخلتها ، للحكومة المصرية . ونظراً الى العقبات الفنية التى تعترض اجراء النقل تدريجا ينتظر إكمال الاماكن الجديدة ثم يؤخذ فى النقل . ونظراً لطبيعة المنطقة الواقعة شرق درجة ٣٢ من خطوط الطول تتخذ التدابير لتوفير أسباب الراحة المعقولة للجنود من مثل زراعة أشجار وحدائق الخ . . وتهيئة وسيلة لتوريد الماء العذب تكون كافية فى الطوارئ .

٢ ـ مع مراعاة ماقد يتفق عليه فى المستقبل بين الحكومتين من التعديلات، يظل قائما ماتتمتع به الان القوات البريطانية بمصر من المزايا والامتيازات فى أمور الاختصاص والرسوم .

٣ ـ ما لم تتفق الحكومتان على غير ذلك تحظر الحكومة المصرية الطيران فوق الاراضى الواقعة على جانبى قناة السويس وعلى مسافة عشرين كيلو متراً منها . على ان هذا الحظر لا يسرى على قوات الحكومتين ولا على خدمات الطيران التى تقوم بها هيئات بريطانية أو مصرية حقا تعمل باذن الحكومة المصرية وتحت اشرافها.

وقد اتفقنا أيضاً على أن الحكومة المصرية تبذل كل التسهيلات اللازمة لطيارات القوة الهوائية البريطانية ورجالها ومهماتها فى طريقها من المطارات التى وضعت طبقاً للفقرة التاسعة من المقترحات تحت تصرف القوات البريطانية والى تلك المطارات . وتبذل حكومة صاحب الجلالة البريطانية التسهيلات المناسبة للطيارات العسكرية المصرية ورجالها ومهماتها فى الاراضى الواقعة تحت اشرافها.

المذكرة المصرية

حضرة صاحب السعادة

أتشرف بابلاغكم انى تلقيت مذكرتكم بتاريخ اليوم الخاصة بالشؤون العسكرية، وأؤيد لكم أن ماجاء بها صورة صحيحة لما اتفقنا عليه.

المستشاران

المذكرة المصرية

حضرة صاحب السعادة

تعلمون ان الحكومة المصرية أخذت على نفسها ان تحقق برنامجا من الاصلاحات الداخلية واسع المدى . وانى لأقدر أن المهمة التى أخذت نفسها بها ستكون أشق وأبعد مدى ، بسبب التعديلات الجوهرية فى نظام الامتيازات المعروفة فى المقترحات. وتدرى انه لتنفيذ ذلك البرنامج من الاصلاحات على وجه الحصول عليه من المشورة فلذلك أنتهز هذه الفرصة لاحيطكم علما بان الحكومة المصرية تنوى ان تستبقى فى خدمتها فى الفترة اللازمة لانجاز الاصلاحات المشار اليها اثنين من الرعايا البريطانيين فى وظيفة مستشار مالى للحكومة المصرية ومستشار قضائى لوزارة الحقانية . وتختار الحكومة المصرية من يشغل هاتين الوظيفتين، بعد شاغليهما الحاليين، بالاتفاق مع حكومة حضرة صاحب الجلالة البريطانية فى المملكة المتحدة وتعينهما الحكومة المصرية ، ويكون تعيينهما اعتبارهما موظفين مصريين .

المذكرة البريطانية

حضرة صاحب الدولة

أتشرف بابلاغكم بأنى تلقيت مذكرتكم بتاريخ اليوم الخاصة بوظيفتى المستشار المالى للحكومة المصرية والمستشار القضائى لوزارة الحقانية، وأحطت علما مع الارتياح بما ذكرتموه بشأن نيات الحكومة المصرية .

البوليس

المذكرة المصرية

حضرة صاحب السعادة

انتهز هذه الفرصة لاحاطتكم علما أن الحكومة المصرية تنوى الغاء الادارة الاوربية فى قسم الامن العام ، على أنها تنفيذاً للتعهد المشار اليه فى الفقرة السادسة من المقترحات ستستبقى لمدة خمس سنين على الأقل من العمل بمعاهدة تبنى على أساس هذه المقترحات عنصراً اوروبيا فى بوليس المدن يظل تلك المدة تحت رياسة ضباط بريطانيين .

وأود أن أتبين ما اذا كانت الحكومة المصرية تستطيع أن تعتمد على معونة حكومة صاحب الجلالة البريطانية اذا شاءت فى المستقبل ان تعيد تنظيم قوات بوليسها.

المذكرة البريطانية

حضرة صاحب الدولة

تثبت حكومة صاحب الجلالة البريطانية فى المملكة المتحدة مع الارتياح أن الحكومة المصرية ، تنفيذا للتعهد المشار اليه فى الفقرة السادسة من المقترحات وبعد الغاء الادارة الاوربية ، ستستبقى لمدة خمس سنين على الاقل من العمل بمعاهدة تبنى على اساس هذه المقترحات، عنصرا اوربيا فى بوليس المدن يظل تلك المدة تحت رياسة ضباط بريطانيين.

واذا شاءت الحكومة المصرية فى وقت مستقبل ان تعيد تنظيم قوات بوليسها فان حكومة صاحب الجلالة البريطانية تكون سعيدة ان تعيرها خبراء فرادى او بعثة بوليس، كما فعلت ذلك بالنسبة لبلاد أخرى كانت راغبة أيضا فى تنظيم قوات بوليسها.

الامتيازات

المذكرة البريطانية

حضرة صاحب الدولة

جاء فى الفقرة الحادية عشرة من المقترحات ما يأتى :

«يعترف صاحب الجلالة البريطانية بأن نظام الامتيازات القائم بمصر الآن لا يلائم روح العصر والحالة الحاضرة لمصر

وللذلك يتعهد جلالته بأن يبذل كل ماله للحصول ، بالشروط التى تؤمن المصالح المشروعة للاجانب ، على نقل اختصاص المحاكم القنصلية الى المحاكم المختلطة وعلى تطبيق التشريع المصرى على الاجانب»

وقد يكون من المفيد أن أبين لدولتكم القواعد الكلية التى يمكن بحسب ما أراه أن يترسمها هذا الاصلاح، وذلك لانى مستعد لتأييد جهود الحكومة المصرية فى اجراء تسويات مع الدول على أساس هذه القواعد حين تصبح معاهدة، تبنى على أساس هذه المقترحات، نافذة.

وقد كان المرجو فى سنة ١٩٢٠، وقتما كانت المفاوضات دائرة بين الحكومتين البريطانية والمصرية ، اجراء تسويات تحمل الدول الاجنبية على اغلاق المحاكم القنصلية فى مصر، لذلك وضعت فى السنة المذكورة مشروعات قوانين بتوسيع اختصاص المحاكم المختلطة لتتمكن من أداء القضاء الذى تقوم به المحاكم القنصلية الان.

وانى لمستعد أن أقبل اتخاذ هذه المشروعات أساساً للاصلاح فى نظام الامتيازات اذا وافقت الدول الاجنبية على نقل قضاء محاكمها القنصلية الى المحاكم المختلطة.

ومما لاريب فيه أن ستمس الحاجة لادخال تغييرات شتى على بعض النقط التفصيلية ، وسيشتغل الخبراء بالمناقشة فى هذه النقط . على ان هناك بعض التعديلات أرى انها ضرورية على كل حال، وأود بهذه المناسبة بيانها لدولتكم :

قد يكون من المتعذر على بعض الدول أن توافق على نقل كافة قضايا رعاياها الخاصة بالاحوال الشخصية الى المحاكم المختلطة: ففى هذه الاحوال يكون النقل اختياريا . ويجب أن يبقى الاختصاص فى مثل هذه القضايا للسلطات القنصلية مالم يتم الاتفاق بين الحكومة المصرية والحكومة صاحبة الشأن على نقل هذا الاختصاص الى المحاكم المختلطة

وأتوقع الموافقة من جانبنا على أن تختص المحاكم المختلطة بالنظر فى قضايا الاحوال الشخصية التى يكون للرعايا البريطانيين صالح فيها

وفى حالة العفو عن عقوبات صادرة على الاجانب أو تخفيفها، كما فيما يتعلق بتنفيذ عقوبات الاعدام الصادرة على الاجانب ، يستشير وزير الحقانية المستشار القضائى ـ مادام ذلك الموظف باقيا فى خدمة الحكومة المصرية ـ قبل عرضها على جلالة الملك.

وانى لاعترف بأن الوجه الذى يطبق به نظام الامتيازات فيما يتعلق بسلطة الحكومة فى التشريع بالنسبة للاجانب أو فى فرض الضرائب عليهم لم يعد يتفق مع الظروف الحاضرة . لذلك فانى مستعد للموافقة على أن يجرى العمل فى المستقبل على ان الجمعية العمومية للمحاكم المختلطة هى التى تتولى أى موافقة تكون ضرورية قبل أن يصبح التشريع المصرى منطبقا على الاجانب ، ويدخل فى ذلك التشريع التشريع المالى . وانما يستثنى التشريع الخاص بتشكيل واختصاص تلك المحاكم فانه لا ينفذ إلا بعد موافقة الدول ، ويجب ان يقتصر اختصاص الجمعية العمومية على الاستيثاق من أن التشريع المعروض عليها لا يتنافى مع المبادئ ... المأخوذ بها عموما فى التشريع ... يتعلق بالتشريع المالى على وجه الخصوص تقتصر مهمة الجمعية العمومية على الاستيثاق من أن التشريع لا يتضمن تمييزاً غير عادل ضد الاجانب أو الشركات الاجنبية.

وسيستدعى توسيع اختصاص المحاكم المختلطة فى المواد الجنائية اعداد قانون جديد للتحقيقات الجنائية واصداره . وفى مشاريع القوانين التى وضعت فى سنة ١٩٢٠ جملة نصوص ذات أهمية فى هذا الموضوع (من المادة ١٠ الى المادة ٢٧ من القانون رقم ٢ طبعة ١٨ ابريل سنة ١٩٢٠) ولاريب فى أن دولتكم توافقون على أن قانون تحقيق الجنايات الجديد لا ينبغى أن ينحرف عن المبادئ المقررة فى المواد المذكورة .

وهناك مسائل أخرى لا مندوحة عن الاتفاق عليها بين الحكومة المصرية وحكومة صاحب الجلالة البريطانية فى المملكة المتحدة . على انى لا أجد الآن ضرورة لان أزيد على الاشارة اليها .

وأولى هذه المسائل هى تعريف كلمة «أجنبى»، وذلك فيما يتعلق بالتوسيع المقترح لاختصاص المحاكم المختلطة . وقد فهمت من دولتكم ان القوانين التى تطبقها المحاكم الاهلية تخضع لقضائها كل شخص فى مصر غير الذين لا يخضعون له بنص القوانين أو المعاهدات والعادات المرعية. وانى لمستعد لقبول هذا المبدأ، على شرط أن يكون مفهوما أن جميع الاجانب الذين كانوا فى الماضى يتمتعون بنظام الامتيازات يكونون خاضعين لقضاء المحاكم المختلطة بصرف النظر عما يكون قد وقع بعد حرب سنة ١٩١٤ — ١٩١٨ من التغييرات فى السيادة .

أما المسألة الثانية فزيادة عدد موظفى المحاكم المختلطة الزيادة التى يستدعيها التوسيع المقترح لاختصاصها ، ويدخل فى هذه المسألة البحث فى أمر الاختصاصات الجديدة للنائب العام والموظفين الذين سيحتاج اليهم للتمكن من القيام بواجبات وظيفته على وجه مرض واستشارة المستشار القضائى ـ مادام ذلك الموظف باقيا فى الخدمة — فى تعيين القضاة الاجانب فى المحاكم المختلطة وأعضاء النيابة الاجانب اذا كان سيعين أحدهم .

المذكرة المصرية

حضرة صاحب السعادة

أتشرف بابلاغكم بانى تلقيت مذكرتكم بتاريخ اليوم التى تشيرون فيها الى القواعد التى ترى حكومة صاحب الجلالة البريطانية فى المملكة المتحدة أنه يحسن ان يجرى اصلاح نظام الامتيازات على مقتضاها وتلفتون فيها نظرى الى أن بعض الامتيازات الخاصة لها عندكم شأن وأهمية.

وانى لسعيد بان اجيبكم بان الاقتراحات الخاصة التى تشيرون اليها تتفق مع نيات الحكومة المصرية وأن هذه الحكومة متفقة على وجه العموم مع حكومة صاحب الجلالة البريطانية على القواعد التى يحسن أن يجرى اصلاح نظام الامتيازات على مقتضاها.

ولاحظ فيما يتعلق بتعريف لفظة «أجنبى» على أن يشمل اختصاص المحاكم المختلطة المدنى والجنائى الاجانب الذين كانوا يتمتعون بنظام الامتيازات قبل حرب سنة ١٩١٤ — ١٩١٨ فانه لاشك فى أن الاجانب الذين لا يتمتعون ولم يكونوا تمتعوا بتلك الامتيازات ، يجب أن يخضعوا لقضاء المحاكم الاهلية .

الموظفون الاجانب

المذكرة البريطانية

حضرة صاحب السعادة

فى سياق مناقشاتنا بشأن الفقرة العاشرة من المقترحات كان مفهوما بيننا أن حكومة صاحب الجلالة فى المملكة المتحدة وشمال ايرلنده، لن تؤول تلك الفقرة تأويلا ضيقاً غير معقول وأن ليس فيها ما يخل بحرية الحكومة المصرية فى استخدام موظفين اجانب غير بريطانيين فى الوظائف التى لا يوجد من بين رعايا البريطانيين من يليق لها .

المذكرة البريطانية

حضرة صاحب الدولة

أتشرف بابلاغكم انى تلقيت مذكرتكم بتاريخ اليوم بشأن استخدام الموظفين الاجانب وأؤيد ما جاء بها بشأن التفاهم الذى تم بيننا .

الاقليات

المذكرة البريطانية

حضرة صاحب الدولة

أرغب أن أثبت هنا انه لم ير محل للاشارة فى المقترحات الى حماية الاقليات التى ورد ذكرها فى تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ ، على انه من المسلم به ان هذه المسألة تكون فى المستقبل من شؤون الحكومة المصرية وحدها

المذكرة المصرية

حضرة صاحب السعادة

أتشرف بأن أبلغكم انى احطت علما بما ذكرتم بتاريخ اليوم بشأن الاقليات فى مصر.

السودان

المذكرة البريطانية

حضرة صاحب الدولة

عندما كنا نتناقش فى الفقرة الثالثة عشرة من المقترحات اتفقنا على ان دين السودان لمصر يجب ان يبحث فيه الآن للوصول فى أمره الى تسوية عادلة .

كذلك اتفقنا على ان يتولى المناقشة فيه مندوب عن وزارة الخزانة البريطانية ومندوب عن وزارة المالية المصرية، وذلك بمجرد ما تصبح معاهدة تبنى على اساس هذه المقترحات نافذة.

المذكرة المصرية

حضرة صاحب السعادة

رداً على كتاب سعادتكم بتاريخ اليوم أتشرف بأن أؤيد ماتم بيننا من الاتفاق على وجوب بحث دين السودان لمصر بواسطة مندوبين من الخزانة البريطانية والمالية المصرية

المذكرة البريطانية

حضرة صاحب الدولة

يحسن اثبات الاتفاق الذى انتهينا اليه بشأن الطريقة التى تجعل بها المعاهدات الدولية منطبقة على السودان وان ما يراد تطبيقه على السودان من تلك المعاهدات لا يعدو بطبيعة الحال ذلك النوع الذى تكون له صفة فنية او انسانية عامة .

ففى الاحوال التى تكون المعاهدة قد وقعتها مصر وبريطانيا العظمى والتى يراد فيها تطبيق المعاهدة على السودان يبدى المندوبون المصريون والبريطانيون فى الوقت المناسب تصريحا مشتركا بان توقيعاتهم عن مصر وبريطانيا العظمى يقصد بها جميعاً أن تشمل السودان ويدون هذا التصريح على الوجه اللازم . وفى الاحوال التى تحتاج المعاهدة فيها الى تصديق يذكر التصريح المشار اليه ، انه عند ايداع تصديق صاحب الجلالة ملك مصر وصاحب الجلالة البريطانية ، تصبح المعاهدة منطبقة على السودان بحسب الاحكام الواردة بها . فاذا لم يبد هذا التصريح فلا تكون المعاهدة منطبقة على السودان الا بطريق الانضمام الذى يشار اليه فيما بعد .

وحيث يبدى هذا التصريح لا يكون ثمة محل بعد ذلك لذكر السودان ذكراً خاصا فى وثائق التصديق.

وفى بعض الاحوال حيث تنص المعاهدة على جواز الانضمام اللاحق وحيث يستحسن أن تطبق تلك المعاهدة على السودان بالطريقة المذكورة، فان الانضمام يتم بوثيقة مشتركة يوقعها عن مصر وبريطانيا العظمى اثنان يعينان لهذا الغرض . وتتفق الحكومتان على طريقة ايداع وثائق الانضمام فى كل حالة . ولا محل طبعاً فى مثل هذه الاحوال لاى تصديق.

وفى المؤتمرات الدولية التى يتفاوض فيها فى مثل تلك المعاهدات يظل المندوبون المصريون والبريطانيون فى اتصال بشأن اى عمل يرونه بالاتفاق فيما بينهم مرغوبا فيه لمصلحة السودان.

المذكرة المصرية

حضرة صاحب السعادة

أتشرف بابلاغكم أنى تلقيت مذكرتكم بتاريخ اليوم بشأن طريقة تطبيق المعاهدات الدولية التى يراد تطبيقها على السودان وأؤيد ما جاء بها بشأن التفاهم الذى تم بيننا .

المذكرة البريطانية

حضرة صاحب الدولة

فى أثناء محادثاتنا الاخيرة أعربتم دولتكم عن الامل بانه عند تنفيذ المعاهدة تعاد الجنود المصرية الى السودان .

فاذا نفذت المعاهدة بالروح الودية التى تفاوضنا بها فى المقترحات، كما نؤمل ذلك باخلاص حكومة صاحب الجلالة البريطانية ببريطانيا العظمى وشمال ارلنده، فان الحكومة تكون مستعدة لان تفحص بروح العطف الاقتراح بشأن عودة أورطة مصرية الى السودان فى الوقت الذى تسحب فيه القوات البريطانية من القاهرة.

المذكرة المصرية

حضرة صاحب السعادة

اتشرف بابلاغ سعادتكم وصول مذكرتكم بتاريخ اليوم الخاصة بعودة أورطة مصرية الى السودان وقد احطت علما بموقف حكومة صاحب الجلالة البريطانية فى هذا الشأن.

نمرة ٢

كتاب من حضرة صاحب الدولة محمد محمود باشا الى سعادة مستر أ . هندرسون

حضرة صاحب السعادة

أتشرف بان ابلغ سعادتكم انى تسلمت رسالتكم الى اليوم والتى تتضمن المقترحات والمذكرات الايضاحية التى سيتم تبادلها بشأن التفاصيل مما كان موضوع البحث بيننا بقصد الوصول الى تسوية دائمة شريفة للمسائل المعلقة بين مصر وبريطانيا العظمى .

وانى لأدرك ان هذه المقترحات هى أقصى ما يمكنكم ان تشيروا على حكومة صاحب الجلالة البريطانية بان تصل اليه . وانى مستعد من جهتى ان اعرضها على الشعب والبرلمان المصرى واثقاً تمام الثقة بان قبولها هو فى مصلحة بلادى. وانى اشاطر حكومة صاحب الجلالة البريطانية الرجاء بأن هذه المقترحات سيفحصها جميع المصريين المخلصين لوطنهم بدون تمييز بين الاحزاب وبروح الصداقة والمسالمة التى وضعت ويحثث بها ، فيجدون فيها اساساً مرضياً للعلاقات المستقبلة بين بلادينا .

فبهذه الروح وبهذا الامل أحمل تلك المقترحات الى الشعب المصرى .

فى ٣ اغسطس سنة ١٩٢٩

الامضاء : محمد محمود

ما هو أهم أطوار الحياة؟

(بقية المنشور على صفحة ١٣)

الفشل لانها بمنزلة خروج على أحكام الطبيعة

إن الاختراعات المدهشة كالالات الكهربائية والطيارات وما أشبه ليست أعظم الاعمال التى قام وما يزال يقوم بها الانسان بل إن أعظم تلك الاعمال وأدهشها هو الاتيان بنسل قوى البنية سليم الجسم والعقل نافع للاجتماع. وقد قال بعض الفلاسفة: ان الانسان والخالق يشتركان فى ابتداع ذلك المخلوق الذى يجيء الى العالم طفلا صغيراً ثم ينمو بالتدريج ويؤدى الواجب المحتوم عليه بازاء الاجتماع. واذا كان فى الامكان اثبات نمو الجسم المادى فليس من السهل اثبات نمو القوى العقلية. بل يكاد يتعذر علينا أن نثبت أن احسن القوى العقلية فى يومنا هذا هى افضل من قوة عقل ارسطوطاليس الذى نبغ منذ أكثر من ألفى سنة. والشيء الوحيد الذى تتفوق به قوى عقل هذا الجيل على الاجيال الماضية هو اتساع نطاق البحث وكثرة الاحصاءات التى يجدها المرء لديه.

وكذلك ليس من السهل أن ننظر الى المستقبل ونتنبأ بأن الامة الفلانية ستظل متفوقة على غيرها أو مسيطرة على العالم بسبب امتياز افرادها بقوة العقل. فالقوى العقلية عند جميع الامم متساوية وانما هى تختلف باختلاف مبلغ المعلومات الموجودة تحت تصرفها والتى قد هيأها لها بحث المتقدمين.

على ان كل ذلك لايهم الطبيعة، لان الطبيعة لاتعنى بالعقل بل بالقوة على الاحتفاظ بالنوع الانسانى. ومن الامور المحققة أن بلوغ ذروة الرقى العقلى لابد أن يتبعه السقوط ولا سيما اذا كان ذلك الرقى مصحوبا بالرخاء ورفاهة أسباب المعيشة.

ثم ان ناموس بقاء الافضل يجعل الطبيعة تختار أقوى الامم وأنعشها حياة لمواصلة تجاربها. فقد تختار اليوم روسيا وغداً انجلترا وبعد غد ايطاليا وهلم جراً. ولا يخفى أن فرنسا كانت حتى عهد قريب أرقى أمم أوربا عقلا واكثرها رفاهة. ومع ذلك فان رقيها العقلى لم يمنحها القوة اللازمة لها للبقاء. وها هى اليوم قد اخذت فى الهبوط من حالق عزها.

ويقول الاستاذ متارثى إن فضل مدنيتنا على مدنية الاقدمين لايقوم بتفوق قوانا العقلية بل بتفوق وسائل النقل والمواصلات. وليس ظهور اديسون بيننا دليلا على تفوق قوانا العقلية فان اديسون لم يخترع ما اخترعه من الآلات الكثيرة الا باعتماده على نتيجة المباحث التى وصل اليها الذين تقدموه اذ كان كل منهم يمهد لتلك الاختراعات بنصيب من الجهد العقلى. وهكذا قل فى سائر أعمال المخترعين.

إن أهم أطوار الحياة هو طور الشباب حتى أواسط الكهولة أو أواخرها أى من سن العشرين الى الخمسين بوجه التقريب. ففى هذه السن ينجز المرء أعظم الاعمال التى تفرضها عليه الطبيعة الاجتماعية. وأهم تلك الاعمال كما سبق القول هو العناية بالنسل والقيام على تربيته. فالرجل فى تلك السن يكد ويكدح ... لمن ؟.. ولاى غرض: أليس يضمن لنفسه البقاء وليجعله فى مركز يستطيع فى دوره مواصلة العمل للاحتفاظ بالنوع لئلا يحل به الفناء ؟

ولا ريب فى أن هذه الخطة الغريزية التى يجرى عليها الانسان هى خطة بيولوجية. ومن غرائب الحقائق انه فى الطور الذى يقوم المرء فى خلاله بالاتيان بالنسل والعناية به تكون قدرته على احتمال الامراض ومقاومتها أعظم منها فى أى طور آخر. فهو بين العشرين والخمسين يستطيع النجاة من الامراض ومن تأثيرها، ويستطيع استرداد صحته بأسرع مما يمكنه فى أى زمن آخر. ومتى جاوز ذلك الطور صعب عليه استرداد صحته بتمامها.

وبعبارة أخرى انه ما دام المرء فى سن يستطيع معها انتاج النسل والعمل على حفظ النوع فان الطبيعة تساعده وتحافظ عليه. وبعد تلك السن — أى حوالى الخمسين — يصبح المرء ولا حاجة بالطبيعة اليه. فتبدأ أسنانه تسقط أو تنخر، وتصب افرازات الغدد داخل جسمه سموما قتالة، وتختل وظيفة الكبد والكلى ويدخل المرء طور الضعف الذى هو فاتحة الشيخوخة.

وفى هذا الطور تنقلب الطبيعة على المرء وتقلب له ظهر المجن. فبعد أن كانت فى طور الشباب والكهولة تحميه وتدافع عنه لتنفره تهمله وتنبذه ولا تحرك ساكنا لانقاذه من عوامل الضعف والانحطاط. وليس ذلك فقط بل هى تخونه وتساعد تلك العوامل على الخلاص منه ليحل محله من هو أفضل منه وأكثر ملاءمة لمهمة استبقاء النوع.

فترى اذن ان الطبيعة تشبه امرأة ماهرة تضم اليها كل من تتوسم فيه نفعاً لها وتبتز منه كل ثروته وتضنيه وتضعف قوته.. ومتى وصل الى السن أو الحال التى لاتنتفع معها منه بشيء تنبذه نبذ النواة وتبحث عن غيره لتفعل به مثل ذلك عينه.

فما أقسى الطبيعة وما أشد نواميسها صلابة!.

ماذا نعرف من طبقات الجو العليا

كتبت فى مقالة سابقة أن القمر ليس له مناخ. فطلب منى الكثيرون أن أدلى لهم بالبرهان على عدم وجود مناخ فى القمر.

فالدليل على ذلك هو التباين العظيم الذى يراه العلماء على سطح القمر، ففى النهار يكون سطحه أشبه بمراجل تغلى لارتفاع الحرارة الى مافوق مائة الدرجة بكثير بميزان سنتغراد. وفى الليل يكون سطحه كالجليد لنزول حرارته الى ٥ أو ٦ درجات فوق الصفر المطلق أى ٢٦٧ تحت الصفر العادى.

وهذا التناقض العظيم بين نهار وليل قمرى يرى جلياً واضحاً بالنظارات المكبرة، وقد أخذت صور عديدة لهاتين الحالتين بحيث ان من يراها لايشك مطلقا بعدم وجود مناخ يحمى القمر من هذه التقلبات التى تنتاب سطحه. ولابد لنا من القول أن سهولة رؤيتها برهان آخر على عدم وجود مناخ، فلا حائل لنا من رؤية سطح القمر كما لو كان هناك هواء تمنعنا كثافته من رؤيته.

ومع أن الهواء الذى يحمى أرضنا هذه لايزيد ارتفاعه عن ٣٠٠ كيلو متر فان هذه المسافة ليست بالشيء الكبير بالنسبة الى قطر الكرة الارضية الذى يبلغ طوله ١٣٠٠٠ كيلومتر ولكنه كثير جدا بالنسبة لأعمالنا وطول قامتنا.

وكثافة الهواء ليست واحدة، فالمتر المكعب الذى يزن ١٣٠٠ جرام على سطح البحر لايزن سوى ٧٠٠ جرام على ارتفاع ٤٠٠٠ متر و٣٧٠ جراما على ارتفاع ١٠٠٠٠ متر و ٣٢ جراما فقط على ارتفاع ٣٠ كيلومترا. وهكذا يأخذ الثقل النوعى للهواء فى النقصان الى مائة كيلو متر فيكون الهواء أشبه بالفراغ داخل الآلة المفرغة له.

ولقد كان العلماء يعتقدون الى زمن قريب ان هواء مثل هذا لافائدة منه لقلة وجوده، مع انه اليوم غاية فى الاهمية لانعكاس الموجات اللاسلكية عليه.

وقام أخيرا أحد العلماء الفرنسيين «يدعى رسرانك دى بور» لتفنيد هذه الفكرة، فانشأ معملا جويا (مترولوجيا) وتمكن بواسطة استعمال البالونات الكشافة واجراء عدة تجارب بحث تجاها مدهشا من ابداء ما يلى:

«ان مناخنا الارضى مكون من طبقتين احداها تسمى الطبقة السفلى وهذه لايزيد ارتفاعها عن احد عشر كيلو مترا فى المناطق الباردة، ولكنها قد تصل الى خمسة عشر كيلو مترا فى المناطق الحارة، وتحتوى على ثلاثة أرباع كمية الهواء ومجموع بخار الماء. فهى مكان الغيوم والعواصف والامطار. ويليها الطبقة الثانية وتسمى بالطبقة العليا وتمتد من احد عشر كيلومترا الى عنان كيلومترا. ويقدر ماتكون الاولى مضطربة ومتقلبة الاحوال تكون الطبقة الثانية فى سكون وهدوء تامين».

فاذا ارتفعنا فى الجو عموديا نجد أن درجة الحرارة فى الهواء تنقص بمقدار درجة واحدة كل ١٢٠ مترا. وهكذا الى أن نصل الى احد عشر كيلومترا، فالحرارة تبلغ ٥٠ درجة تحت الصفر المادى وبعد ذلك تظل ثابتة الى النهاية مع تغير طفيف فى الشتاء والصيف لايتجاوز عشر درجات. والسبب فى التقلبات الجوية فى الطبقة السفلى ناتج عن وجود بخار الماء، فان الاطوار التى تتخلله من تكاثف وتبخير تبعا لما يقابله من حرارة أو برودة، تجعله يشق الهواء فى اتجاهات مختلفة صعودا وهبوطا ودورانا.

أما الطبقة العليا فهى على عكس ذلك لأنها مركبة من طبقات صغيرة، تنزلق احداها على الاخرى بدون أن تتداخل فى بعضها. ولكل طبقة صفات خاصة بها لاتتعداها الى غيرها.

وربما يتساءل القارىء كيف أمكن الوصول الى اثبات ذلك مع العلم انه لم يتمكن أحد من الطيارين الى الان أن يتخطى الاحد عشر كيلو مترا؟ فالطبقة السفلى يمكن اجتيازها بكل سهولة، ولكن الطبقة العليا لم يتمكن انسان من أن ينال منها منالا. فاذا أرادت طيارة ان تتخطى هذا الارتفاع فلابد من ان يأخذ ركابها معهم جهازاً يحتوى على اكسجين مضغوط لاستنشاقه عند الوصول الى ارتفاع يجدون فيه صعوبة فى التنفس. وقد يكون من الصعب اجتياز الطبقة السفلى والدخول فى الطبقة العليا لضعف الثقل النوعى للهواء عن حمل الطيارة.

فللوصول الى أعلى من ذلك استعمل العالم دى بور بالونات كشافة وهى عبارة عن كرة يبلغ قطرها ٥٠ سنتيمترا الى مترين مملوءة بغاز الهدروجين الخفيف فيرتفع البالون فى الفضاء الى بعد شاسع. وقد سجل بعضها وصولها الى ارتفاع ٣٩ كيلو مترا وتحمل فى أسفلها سلة صغيرة تحتوى على ترمومتر وبارومتر ليسجلا الحرارة والضغط الجوى وبعض الآلات الاخرى بحجم صغير لتسجيل الارتفاع وسرعة الهواء. وكثيراً ما يعلق بهذه البالونات شبكة النجاة (برشوت) لان حجمها يزداد ضعفا كلما ارتفعت ١٥ كيلو مترا. وفى أغلب الاحيان يتمزق غلافها لقلة الضغط الجوى فيسقط على الارض سليمة بفضل مظلة النجاة المعلقة بها.

ولمعرفة انواع الغازات التى تتألف منها الطبقة العليا من الجو يمكن الحصول عليها بتحليل الضوء الذى يخترقها، وهذا طبعاً يحتاج الى شرح طويل واسهاب لايسمح لى المجال بالدخول فيه. وقد درست كل هذه الاشياء بدقة تامة من جانب علماء افاضل حتى اصبحت معروفة تمام المعرفة. فعلى ارتفاع ٢٠ كيلو مترا نجد طبقة الازوت. والازوت هو غاز الاكسجين المتكاثف، وهو نتيجة تفاعل كهربائى فى الجو وتحت تأثير الاشعة فوق البنفسجية. وقد تمكن العلماء بواسطة تحليل الضوء من معرفة وجود نوعين من الاشعة التى تنبعث من الشمس احدهما يكون الازوت والآخر يحلله اى يرجعه الى اكسيجين. وبناء على ذلك يجب الا يغرب عن البال وجود الاوزوت فى الهواء القريب من الارض وتنبعث رائحته غالباً بعد المطر. والبرهان على عدم وجود هذه الاشعة المكونة والمحللة للازوت فى (السبكترسكوب) محلل الالوان لان طبقات الاوزون قد امتصتها لتكون الازوت وتحلله الى اكسيجين. وتمتد هذه الطبقة من ٢٠ الى ٥٠ كيلو مترا وهى ذات فائدة كبيرة لأجسامنا لانها تحمينا من تلك الاشعة القتالة المنبعثة من الشمس بامتصاصها. والدليل على ذلك انه كثيراً ما تتكون وطأة الشمس فى بعض البلاد ذات تأثير مميت بينما فى غيرها لاتؤذى قط، لان سمك هذه الطبقة يختلف من مكان لآخر.

ويلى هذه الطبقة طبقة أخرى تسمى باسم العالم الانجليزى هيفسيد، فالهواء ضعيف جداً ولكن هذه الطبقة ذات فائدة للامواج اللاسلكية وهى تحتوى على قليل من الاوكسيجين وكثير من الازوت وتصل الى مائة كيلو متر. وعند هذا الحد تنتهى الطبقة العليا، ولكن من المؤكد أن فوق هذه الطبقة يوجد فضاء مملوء بغاز الهليوم والهيدروجين اللذين يلمعان من البراكين ويرتفعان فى الفضاء تبعاً لثقلهما النوعى. وعند مرور النيازك أو الشهب وهى قطع من الحديد واصطدامها بالهيدروجين تلتهب وتصبح رمادا وتسقط غالباً فى البحار لانها تغطى ثلاثة أرباع الارض ولايكون التهابها الا اذا صادفت على ارتفاع بين ١٥٥ و١١٣ كيلو متراً من سطح الارض.

يوسف حافظ صباغ
طالب بمدرسة الهندسة الملكية

زهرة

للشاعر الفرنسى الكبير

الفرد ده موسيه

ماأبهاك أيتها الزهرة العزيزة، انك لا حب والعلف تذكار، لانك تحتفظين بمسحة من الجمال والحياة

حدثينى عما سمعتيه من أسرار الحياة، وعما همست اليك اليد التى قطفتك من خمائلك. ماأنت وما مكانك بين الزهر؟. لهفى على زهرتك الذابلة التى تمثل الوداعة الصامتة وورقك بلونه الباهت يشابه الامل الخائف المتهيب.

حدثينى أيتها الزهرة ان كنت تحملين رسالة الى من أحب، فأنت خير من يضطلع بأسرار المحبين ويحمل نجوى القلوب.

انه ليخيل الى أن فى خضرتك سراً من الاسرار، وفى طيبك ونشرك لغة من اللغات فحدثنى أيها الرسول الخفى بهذا السر وأفصح لى عن مكنونات سرك، وأطلعنى على حنايا فؤادك، وان لم يكن عندك شيء فابق صامتاً وانزل على قلبى برداً وسلاما.

هذه اليد التى خلقتك فى أبدع تقويم وزينتك فى هذا الشكل البديع وعقدت كمك بهذا الخيط الناعم. هذه اليد التى عجز فيدياس وأخفق براكستيل أن يخلقا مثلها أو يجدا لها اختاً ليتخذاها نموذجاً لما يصنعان من آيات الفن وبديع التماثيل، ماهى إلا يد الزهرة الهة الملاحة وربة الجمال.

أيتها الزهرة انك لتبدين جميلة حلوة فتانة وبالسعادة من يبسم له الحظ، فكنت له عروساً ولكنك حكيمة قاسية، وأخاف قسوتك وعضبك. فاصمتى أيتها الزهرة ودعينى أستسلم لنجواى أتيه فى بيداء الأمانى والاحلام.

أسيوط — روبرت بولس

أيتها الفتاة

لفيكتور هيجو

خذى نصائحك أيتها الفتاة من الابرة، وقدمى صلاتك لمن يهمس فى أذنك: اشتغلى فان الله أمر بالشغل الذى يكرهه الجاهلون بولادة ابنتين: الفضيلة التى تسبب عذوبة السعادة، والسعادة التى تجعل الفضيلة فتاة.

كونى أيتها الفتاة أطهر الموجودين تحت السماء: كالصبح والامواج، كالعش الفرح والبرج الرنان، كالسنبلة الشقراء التى يحبها الحصاد، كالكوكب المنحنى والزهرة المائلة، كنكل ما يضحك، وكل مايغرد، وكل من ينام يرحمه الله.

كونى هادئة أيتها الفتاة، اذ أن راحة القلب تظهر على الوجه، والاطمئنان يسببه جلاله.

كونى فرحة أيتها الغادة، لأن ابتسامة المرأة هو انعكاس شعاع السماء، وما الفرح إلا هذه الحرارة التى تسبب فى القلوب ذلك الضياء العلوى المسمى بالحقيقة.

كونى حنونة، اذ فى ظلى الحنو فضائل كثيرة، وما العناصر الكريمة إلا حركة منه. فمن فضيلة واحدة صنع الله قلوب الأبرار، كما ضنع من ياقوتة واحدة القبة الزرقاء.

واذا اشتغلت أيتها الفتاة، وكنت هادئة فرحة صالحة، أصبح قلبك من عداد تلك الافئدة الموسومة بعلامة الهية، أنصع بياضاً من الثلج، وأبهى رونقاً من الزئبق، وتكونين مع الذين بلا ملل ولا ضجر مبتهجين من الاعمال الصالحة، واضعين زورقهم فى ميناء السلام، مسلمين شيخوختهم للحكمة، وبعد صلاتهم المسائية ينامون الليل كله.

طنطا — محمود حسن السيد

قصة الأسبوع

مدخنة الأفيون

كنت أصعد من شارع مادلين الى أحد الازقة ، واذا بصديقي عريف من ورائي يمس كتفي ، ويهمس في اذني : تلك امرىء فرصة. ولقد كنت ذاهبا اليك ، ويجب أن تأتي الليلة أيها الصديق الى « المدخن » ، فسوف ترى منظراً عجيباً.

قلت: وأي منظر؟

أجاب ، سيدة تريد أن تدخن ، سيدة في الثلاثين من عمرها ذات زوج واولاد ، وذات خليل ، فهي ثمرة بديعة كاملة للحضارة المصرية وهي تجمع لكل تقاليدنا الموروثة ، وديننا ، وأخلاقنا ، وعقدنا الاجتماعي ، وعادت أنسائه وبالاختصار فهي مخلوق أنثى من غرائزها أن تقدم أمامها للقبلة كما تقدم اللحم الذي تأكله. وهذا المخلوق أيها الصديق هو الذي ندفع به الليلة الى (الافيون)

قلت ، فهل الزوج الذي قادها اليك ؟

أجاب: كلا ، بل هو العاشق ، وهو عاشق عصري لايحب بلاريب ، ولكنه اختير لظرفه ورشاقته ولانه قد وجد مايلذ في العلاقة التي يعرضها . ومع ذلك فالمرأة بديعة أيها الصديق.

قلت: والعاشق ؟ أجاب : هو أحد الناس ، ورجل أنيق ، يغار على صاحبته أشد غيرة.

قلت: وتاريخه تاريخ أحد الناس أيضاً؟

اجاب : أجل ، ولكنه لايتركها لحظة.

قلت : حسن ، فالى هذا المساء.

وكنت أجد في دعوة عريف نوعا من الاغراء . والافيون وحده اغراء . ولم تكن المهذبات التي يضيفها اليه المدخنون الشبان لتذهب شيئاً من روعة هدوئه . وكان عريف يدخن الافيون مذ كان قنصلا في فوتشو أعني منذ ثلاثة أعوام . أما أنا فأدخنه منذ القدم. فلما جاءت الساعة التاسعة ، خطر لي اولا أن أعود الى منزلي وان أدخن في غليوني الخاص. ولكن عربة مرت بي ، فاستسلمت الى المصادفة.

وكان عريف يسكن قريباً من قنطرة موليتور في منزل صغير تحجبه الاشجار الباسقة ، يدخل اليه من باب حديدي ، ثم تخترق حديقة غاصة بالاشجار ، لا ترى شيئاً من خلالها أو فوقها ، فكان المنزل في غابة كثيفة . وهنالك أول ممر تنمو فيه الاعشاب ، ثم عتبة ، ثم غرفة انتظار ذات بلاط أزرق وأبيض ، ثم تجد على اليسار غرفة المكتب وبها نافذتان كبيرتان تطلان على الحديقة . والمنزل كله رشيق ، حديث ، لاغرابة في وضعه

ولكن ، وراء غرفة المكتب [illegible] (المدخن) ، وهو رواق طويل [illegible] فرش كله بالديباج الاحمر وسادة الظلام لان كوته الصغيرة قد حجبت بستر قاتم . واني لا أهوى هذا المدخن لانه يختلف كل الاختلاف عن المنزل ، بل يختلف عن كل ماقي باريس وغير باريس ، ثم هو عار وينتابه نوع من الخفاء . وليس فيه اثاث ولا تحف ، ولا ما يرى ولا مايتجه اليه البصر ، وليس فيه الا الفضاء المحصور بين جدران أربعة دهنت بدهان كلون الدم القديم . فاذا دخل المساء أضيء فيه مصباح صغير ، ولكن الفضاء الاوسط يبقى قاتما مظلما .

والآن نحن ندخن ، انا وعريف ، وكل قد جلس تجاه الاخر على عجزه ، ومن بيننا غليون الافيون:

ثم قال لي عريف : سوف تذهب لتتجرع متى قرعوا ، ثم تحضر من غرفة المكتب برنسا هنالك ماقى فوق مائدة القراءة وتلبسه فوق ردائك .

قلت : لست أشعر بشيء من البرد.

قال: كلا ، ولكنك تعرف أن الاردية الصينية لاجمال لها إلا في « المدخن »

وكنت قد أسرفت في التدخين واستنفدت نحو ثمانية ، ولذا سمعت كر السيارة فوق الرمل كأنما أسمع عن بعد ، وفتحت الباب قبل أن يطرق ، وقلت : هيا !

وكانت المرأة ترتدي ثياباً كثيابها للرقص ، فترددت ، وجزع الرجل الانيق لبرنسي الابيض وقال : ان المسيو عريف . . .

قلت : هيا فان عريف صديق.

فتأبطت المرأة ذراع عاشقها ، في نوع من الخوف ، وتبعاني في ممر الحديقة بين أشجار البلوط .

ثم دخلت المرأة أولا ، وقد سكن روعها مذ جازت غرفة الانتظار .

وفي غرفة المكتب ، رجوتها أن تخلع معطفها . وكانت ترمق الكتب المكدسة فوق المكتب بفضول ، وكذا نقوش الجدران والاغصان المتدلية على زجاج النوافذ .

ثم ارتدت نحو عاشقها وقالت : انه لمقام لذيذ أيها العزيز ، أليس كذلك ؟ بل انه مقام يحلم الاعزب بمثله ، وانه ليشف عن ذوق بديع ، والحق أن عريف رجل فنان ، وصديق ساحر ،

[illegible]

وكنت أنظر [illegible] [illegible] من الاعشاب في ظلال المنزل الذي لم يدخله الا [illegible] على إرادة صاحبه.

أما هي فقامت [illegible] أمام المرآة ، وفي المرآة [illegible] نظرة امرأة [illegible] ، ثم [illegible] البرنس ، وقالت: [illegible] الآن بالمدخن ياسيدتي.

ثم فتح [illegible] المدخن الاحمر الذي [illegible] الظل فسارت [illegible] ثم وقفت .

وكان عريف يدخن ، وكان [illegible] الحريري الازرق والاسود [illegible] في ثنايا الامواج [illegible] ، ومع ذلك فقد كان [illegible] ظاهرا أنه لايتحرك ، بل انه لم يلاحظ دخولنا ، وكنت قد خلعت برنسي خارج المدخن وأغلقت الباب ، ثم قعدت امام عريف كما كنت قبلا .

ثم أعد عريف الغليون الاسود ، وارتد الى المائدة ، وقال : ان المدخن كله تحت تصرفك ياسيدتي ، وأنت ترين أن الافيون يدخن مع الاستلقاء ، فاذا أردت ألا تختل زينتك ، وأن تتمددي في ثوب فضفاض ففي المدخن تكييرات تناسبك جيداً ومنها ثوب ليموني يتفق مع شعرك ، ومخدع الزينة تحت تصرفك.

فنظرت المرأة الى عاشقها مدهشة وحاولت الرد فقالت: شكراً . . . وسوف أدخن كما أنا.

وتنحيت انا قليلا لأهيء لها مكانا . ثم مددت يدي الى أبريق الشاي فلأت لها قدحا وقدمته اليها ، فترددت مزعجة وقالت دون أن أشرب : هل حقا انه شاي ؟

فتناولت القدح من يدها بهدوء وشربته فاحمر وجهها . وتمددت هي على الايوان لكي تخفي اضطرابها ، وألصقت ثوبها بعقبيها ، وحذرت ان يمس جسمها جسمي الذي تمدد بجانبها. ثم قالت وهي دهشة من شكل الغليون: كيف يدخن هذا ؟

أجبت : تستنشق مرة واحدة حتى نهاية النفس .

فوضعت فم الغليون بين شفتيها ، وأخذت تستنشق المخدر بملء رئتيها . ولم انظر اليها قط فلم أكن اهتم بذلك ، خصوصا وقد كنت أتمدد فوق ظهري وعيني تتجه نحو الجدار الاحمر . وكان العاشق يستند اليه ، والدخان يموج بيني وبينه ، وكنت كأني آراه شبحا لاانسانا .

ثم تركت المرأة فم الغليون وارتدت فجأة الى الوراء ، فسمعت صوت مشطها يقع على الارض ، ولكن عريف لزم الصمت ، وتناول مقداراً آخر من المخدر وألقاه في الغليون ، ونفخ النار ثم قدمه الي . واضطررت لكي أدخن ان اسند جسمي الى كتف المرأة ، وعندئذ ألفيتها هادئة وديعة بعد ان كانت مضطربة لاتبدي حراكا.

ثم قدم اليها عريف الغليون وهو يقول : [illegible] وانت [illegible] تدخن ، وعريف يقول : [illegible] « بالسيدة » اذلت [illegible] [illegible] ولكن لابأس أن نسميك منا [illegible] زهرة.

فقالت : [illegible] « الاوتس »

أما هي فلم تتعلم التدخين ولم تجب حتى استنفدت ماقى الغليون ، ثم عبثت قليلا [illegible] لذة المخدر ، واجابت بفتور: أجل زهرة اللوتس.

فاستندت خدي ثانية نحو كتفها ، وهنا مدت يدها اليسرى ، وأخذت تداعب شعري بحركة بسيطة ، ثم أخذت تتكلم بلهجة كأنها مناتة عينيها ، وتقول : اني سعيدة ! ويلوح لي أني أرى نفسي صغيرة ، بيضاء ، وان جسمي لايزن شيئا ، آه ما أبدع هذا !

ثم صمتت طويلا حتى جاء دورها للتدخين فتناولت الغليون وهي تقول : اني سعيدة ، ويلوح لي ان ليس لي زوج أو صديق . . .

ومد عريف لي الغليون ، فمددت الى وجه خدي على كتفها ، فاذا بيدها تلمس خدي وعنقي وتتسلل الى صدري . وبعد أن انتهيت من التدخين لبثت في مكاني ، وغدونا متماسين تقريبا كخدين وهي تقول بفتور : ومع ذلك فلست أعرفك ولو قابلتني في الطريق قبل ذلك بقليل وحاولت ان تقبل يدي لصفعتك .

قالت لها : انك بديعة .

وتكاثف الدخان ، واشتد الحلك بين الجدران الحمراء . أما العاشق فلبث جامدا في مكانه وهو يتبخر أمامنا شيئاً فشيئاً ، وكان تحدجه «لوتس» شزراً .

وبعد الغليون التاسع رفعت رأسها وقالت : هيا انصرف !

فتحرك الرجل ، وقال ذاهلا متلعثما : ولكن كيف ! وانت . . . ؟

ثم سمعت باب المدخن ، ثم سمعت الباب الحديدي

وعندئذ وضعت لوتس فمها على فمي . . .

عن كلود فارير

في الادب الجاهلي

أصدرت لجنة التأليف والترجمة والنشر كتاب « في الأدب الجاهلي » تأليف الدكتور طه حسين استاذ آداب اللغة العربية بالجامعة المصرية. وموضوع هذا الكتاب الجديد يتبين من مقدمته وهي : « هذا كتاب السنة الماضية حذف منه فصل وأثبت مكانه فصل وأضيفت اليه فصول وغير عنوانه بعض التغيير . وأنا أرجو أن أكون قد وفقت في هذه الطبعة الثانية الى حاجة الذين يريدون أن يدرسوا الادب العربي عامة والجاهلي خاصة من مناهج البحث وسبل التحقيق في الادب وتاريخه ، وهو على كل حال خلاصة ما يلقى على طلاب الجامعة في السنتين الاولى والثانية من كلية الآداب »

ويقع الكتاب في سبعة كتب يستغرق منها كتاب السنة الماضية ، بعد حذف ماحذف منه واضافة ما أضيف اليه ، نحو ثلاثة كتب والباقي بحوث جديدة أضيفت اليه .

ويطلب من المكاتب الشهيرة ومن اللجنة المذكورة وثمنه خمسة وعشرون قرشاً ما عدا [illegible]

بحث في خلود الروح

(بقية المنشور في صفحة ١٦)

لايخلودها . فديانة قدماء المصريين تدور كلها حول بقاء الروح ومعيشتها في عالم آخر ، ولوانهم كسوا هذه العقيدة بظلال الشعر والخيال . ثم جاءت الديانة اليهودية فقالت ببقاء الروح وعذابها أو نعيمها في العالم الآخر . وجاء موضوع استحضار الارواح في التوراة في سفر صموئيل الاول اصحاح ٢٨ ، فان الملك شارل تنكر وذهب مع رجلين الى وسيطة في استحضار الارواح فاستحضرت له روح صموئيل فلما رأت المرأة صموئيل صرخت بصوت عظيم وقالت لشارل لماذا خدعتني وأنت شارل فقال لها الملك لاتخافي فماذا رأيت قالت رأيت الها يصعد من الارض ، فقال لها وماصورته قالت رجل شيخ صاعد وهو مغطى بجبة ، فعلم شارل أنه صموئيل ، وخر على وجهه ساجداً ، فقال صموئيل لشارل لماذا أقلقتني باصعادك اياي ، فقال شارل قد ضاق بي الامر جداً ، الفلسطينيون يحاربونني والرب فارقني ولم يعد يجيبني لابالأنبياء ولابالأحلام ، فدعوتك لكي تعلمني ماذا أصنع ، فقال صموئيل ولماذا تسألني والرب قد فارقك وصار عدوك .. لانك لم تسمع لصوت الرب .... الخ ...

وجاءت المسيحية تحث على الايمان بخلود الروح وبجمال العالم الروحاني الآخر وبانكار الجسد وبأن محبة العالم عداوة لله ، لان بعد هذه الحياة الارضية حياة روحانية يعيش فيها البشر كأبناء الله .

وجاءت الديانة الاسلامية مبشرة أيضاً بخلود الروح وبالعقاب أو الثواب الذي ستناله الروح في العالم الآخر بعد هذه الحياة. وجاء في القرآن الكريم (ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي)

واليوم يتحرك العالم نحو ذلك الايمان القديم فظهر منذ عهد غير بعيد مذهب الخلود الروحي المبني على القواعد العلمية وعلى مناجاة أرواح الموتى ورؤيتهم أشباحا أو متجسدين .

نقولا يوسف

الأقصوصة القديمة

لم تكن الاقصوصة [illegible] على العصور [illegible] في أوربا التي يسميها المؤرخون « العصور المظلمة » . ذلك لان العقيدة الدينية [illegible] كل شيء ، وذلك لأن الناس [illegible] وأقوالهم ومنا حي تفكيرهم [illegible] العاطفة الدينية المسيطرة كلها ، وأثر هذا الجمود في كل مظاهر الحياة عند الناس . وأنئذ سمعت عن « دراسات المعجزات » التي كانت تصاغ من الكتب المقدسة للوعظ والتبشير . وأنئذ قرأت شيئاً من « الشعر الديني » الشائع وقتئذ والذي لم تصلنا اسماء قائليه والذي يفيض بالفكرة المسيحية . وأنئذ رأيت بعض الاثر الذي أحدثته تلك العصور في الفنون ، فعندك الكنائس والبازيليكا ، وعندك صور العذراء وابنها والرسل والقديسين وما يشبه هذه المواضيع التي تمت للدين بسبب قوي . .

ولما كانت الاقصوصة نوعا من الادب ، فهي تتأثر بكل المؤثرات التي تؤثر في الادب ، ولما كانت الاقصوصة أكثر اتصالا بنفوس الناس الذ[illegible] يؤلفون [illegible] [illegible] — [illegible] كل شيء [illegible] بصبغة الدينيا القاتمة ، حتى سمعنا أن رجال الدين صاغوا أقاصيص الوثنية وحوروها حتى جعلوها تلائم رغباتهم الدينية وتوافق ما تأمرهم الجامدة وترضى قراءهم الذين لا يرضيهم الا ما يشيد بالدين ورجال الدين.

انتشر بعض الاقاصيص الهندية والفارسية والمصرية القديمة في أوربا بل وعبرها الى بلاد الانجليز ، ففي الكتب الانجليزية القديمة في الزمن المحصور بين ملوك النرمنديين وملوك التيودور ، ترى كيف أثرت الاقاصيص الشرقية في الاقاصيص الغربية ، وترى كيف أصبحت الاقصوصة عاملا مهما في الادب المسيحي ، وترى مثل أقصوصة (قدر ديردر) التي نالت من الشهرة مثل مانالت (هيلين رواده) وفيها شيء من الجمال الساذج ، ولكن بعض النقاد يقولون انها تحتاج الى كثير من الصقل والتطرية ، وتحتاج الى ملكة شاعرية قوية تتخذها نواة تضيف عليها الكثير من الروعة والبهاء.

وبينما كان الغال في (ايرن) يرددون أقاصيصهم الوطنية كان سكان (ويلز) ينشرون أساطيرهم التي تحوي شيئاً من الحكمة مثل أقصوصة (حلم مكسيم) ، وهي صورة لا بأس بها للامبراطور الروماني (مكسيموس) لا تخلو من الخرافة ، وهي احدى الاقاصيص التي ترجمتها (شارلوت جست) وضمتها الى مجموعتها التي أطلقت عليها اسم (مابينو جون) (١).

ولكن هنالك قصصاً أكثر من هذه اتصالا بالادب المعروفة باسم « أقاصيص الملك آثر وفرسانه » . ورواة هذه الاقاصيص من الحقيقة التاريخية الممزوجة بالخرافة ، ومؤلفوها هم شعراء (كورنال ، ويلز الجنوبية ، انجلترا) حوالي نهاية القرن السادس ، ولجمالها وسهولتها انتشرت بين المتكلمين بلغة ويلز الى بريتاني ثم تناولها مقاطعة نرمنديا حتى انتشرت في فرنسا وايطاليا [illegible] بعض الاقاصيص [illegible] في مجموعة (شارلوت جست) ولكن هذا الجزء لا يماثل الجزء الآخر الذي تناوله شعراء نرمنديا وبريتاني في أواخر القرن الثاني عشر ، والذي يرى فيه المؤرخ دوراً مهماً للفروسية المسيحية ونظامها ، وبعض هذه الأقاصيص يوازي الأساطير في سمو الروح . ولقد نبأنا رجال الأدب أن « السير توماس مورلي » صاغ الكثير منها في القرن الخامس عشر ، وأن الفرنسيين نقلوا الكثير منها إلى ألمانيا حيث تناولها « واجنر » الموسيقي العظيم وصاغها في الأساليب الدرامية ولحنها . . .

ولما كان الفرنسيون متصلين باليونانيين والبيزنطيين بروابط التجارة والمصاهرة ، فقد انتشرت الأقاصيص البيزنطية واليونانية بينهم حتى إن بعضها مازال حياً في الأدب الفرنسي الوسيط ، مع أن أصولها التي اشتقت منها قد ضاعت ، كأقصوصة « الملك كوستان » وهي أقصوصة الرجل الذي ولد ليكون ملكا ، وهي الأقصوصة التي انتقلت إلى بلاد العرب والحبشة والتي أصبحت فيما بعد جزءاً من « فوكلور » أوروبا !

ولقد اكتشف حديثاً أن شاعراً فرنسياً في القرن الثاني عشر يعتبر بحق من أدباء القرون الوسطى المجيدين ، واستطعنا بواسطة قراءة سورة من النسخة الخطية المكتشفة أن اسمه يقرب من « أنتيف العجوز » . وخير أقاصيصه هي « أوكاسين ونيكوليت » وهي تشبه — إلى حدما — أقصوصة « روميو وجوليت » . ويرجح بعض النقاد أن أصلها مغربي ، معللين ذلك بقولهم إن « أوكاسين » اسم أحد حكام قرطبة . ونحن لا نعرف أي هؤلاء الحكام يقصدون ؛ ولكننا نميل إلى ما ذهبوا إليه ، لأنه سرد حوادث أقصوصته في الشعر والنثر معاً ، وهذا من خصائص الأقاصيص الاسلامية ، ولأنه خبير بالبلاد التي وصفها خبرة من عاش فيها ، فقد يكون (أنتيف العجوز) قد وقع أسيراً في يد المسلمين أثناء إحدى الحروب ، أو لعله كان عبداً من عبيدهم استطاع أن يتعلم طرقهم وأساليب الكتابة عندهم .

وبينما كان أمثال هذا الشاعر يؤلفون الحصون والقلاع بذكر أقاصيص الفروسية ، كان القساوسة والرهبان يتخذون الأقصوصة وسيلة لجذب الناس إلى الكنيسة ولنشر تعاليمها ولبث سلطتها ولتعزيز نفوذها عند العامة ، فعندك ـ مثلا ـ أقصوصة (الناسك والكنز) التي ألفها أحد الأيطاليين ، فقد أخذوها وأعطوها جوامسيحياً قد لا يخلو من الروعة والجمال .

ويعد (بتروس ألفونسوس) — وهو الرجل الذي وصل إلى ذروة الشرف في أسبانيا — بعض الأقاصيص العربية ، وفيها عرف الأوروبيون نوعاً جديداً من الأقاصيص هو إلى الروح الأدبية أقرب من أقاصيصهم الشائعة . وخير هذه المجموعة قصة (فارس مصر وفارس بغداد) ، وها أنذا سأحاول تلخيصها لك في إيجاز غير قليل .

نشأت بين فارس مصري وآخر بغدادي مراسلة مستمرة ، فكل ما يريده الأول من بغداد يرسله الثاني ، وكل ما يريده الثاني من مصر يرسله الأول ، ولكن هذه الصلة لم تتعد المراسلة ، فكل واحد منهما لم ير الآخر .

وأراد فارس بغداد أن يزيد روابط هذه الصلة ، ولذا سافر إلى مصر ضيفاً على صديقه ، وهنا قابله فارس مصر خير مقابلة وأكرم وفادته الأكرام كله ، وبعد أيام مرض فارس بغداد وأصابه انقباض نفساني ، فسأله صديقه عن سببه فعلم أنه أحب فتاة رآها في منزل مضيفه ! وعندئذ عرض عليه رب المنزل جميع الجواري والفتيات الموجودات في قصره ليتعرف على فتاته ، ولكنه لم يرها بينهن . .

فأيقن فارس مصر أن الرجل وقع في حب الفتاة التي يهيم هو بها ، والتي يعمل على تربيتها لتكون له زوجة خصوصاً أن لها ثروة لا بأس بها ستتسع ثروته بعد الزواج منها ، ولذا تنازعه عاملان : الواجب والحب . أجل الواجب للصداقة والصديق وتتبعه التضحية والحب الذي يكنه للفتاة ويتبعه الاستئثار . . . وأخذ يسائل نفسه : أيعطيه الفتاة أم يحفظها لنفسه ؟ أيتبع داعي الصداقة أم يتبع داعي الهوى ؟ والمال ! والثروة التي تملكها الفتاة أيضحي بها ؟ وفي النهاية تغلبت فكرة الواجب وآثر الفتاة ، فتعرف عليها صديقه وتزوج منها وسافر الى بغداد مغتبطاً راضياً .

دارت الايام وتغيرت وهي دائمة الدوران والتغير ، فأصاب الدهر فارس مصر فيما يصيب الناس من محن ، فذهبت ثروته وفقد مركزه الادبي والمعنوي بين الناس وأصبح شريداً منبوذاً لا يدري أين يعيش ولا أين يذهب !

وأخيراً هداه تفكيره إلى الذهاب الى بغداد حيث صديقه الفارس الذي قد يذكر يده عنده ونعمته عليه فيعينه في أمره ، وفعلا ذهب الى « مدينة السلام » ولكنه وصلها ليلا فرأى أنه ليس من اللائق الذهاب الى صديقه في هذا الوقت المتأخر ، وظل يجول في المدينة حتى وصل الى فناء أحد الاديرة حيث قبور الموتى ، ورأى في هذا الفناء مكانا هادئاً صالحا لقضاء الليلة فتوسد الثرى ينتظر الصباح ...

ولما كان المكان موحشاً مقبضا فقد تتابعت في مخيلته الذكريات الموحشة المقبضة ، وارتسمت في ذهنه الصور المخيفة المروعة ، وأخذ يقابل حاضره بماضيه وسلمه اليأس الى نوع من التفكير هو أقرب الى التشاؤم من أي شيء آخر ، وأنف فكرة الذهاب الى صديقه إذ كيف يمد له يده بالسؤال ؟ وصاغت المقادير له من تلك الافكار وهذه الصور فكرة واحدة هي أن يرغب عن الحياة وأن يعمد الى الانتحار ! ولكن ما هي إلا لحظات حتى دخل رجلان يتنازعان فيما بينهما وما هي إلا لحظات أخرى حتى اشتبكا في شجار عنيف انتهى بأن قتل أحدهما الآخر وفر هارباً ! ثم تجمعت الناس وهي تصيح « أين القاتل ! أين المجرم ! » فرأى صاحبنا الفارس المصري فرصة سانحة للتخلص من الحياة ومتاعبها

(١) Mabinogion